

الشعر والعامية



بقلم
رئيس
التحرير

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

يتصيد به المعاني ، والكلمات الشعرية المحضنة ،
ليصوغ بها قصائده وأشعاره التي ينفى بها ،
ويرقص على نغماتها ، وتخلج بها نفسه ، ويتذوقها
ابتداءً من لحنه التي يندمج فيها اندماجاً ، ويتقنها
انتقائاً ، ويسيطر على أصولها ، ويدرك أبعادها ،
ويتلمس أسرارها .

ان الذين يكتبون الشعر ، ولا يهتمون باللغة التي
يكتبون بها شعرهم هذا ليسوا من أولئك الشعراء الذين
يحق أن نطلق عليهم هذا الاسم ، وليسوا من الشعراء
ذوي الأصالة الشعرية ، وهناك فرق بين شاعر
وشاعر ، وبون بين شعر وشعر ، لكن الشاعر
هو الذي تتميز فيه أصالة الشعر ، وتختلف هذه
الأصالة بين شاعر وشاعر ، كما تختلف بين شعر
وشعر ، والذي نعنيه هنا هو ذلك النوع الذي يطلق
عليه اسم شاعر ، وهو ليس بشاعر أصلاً ، وذلك النوع
الذي يسمى شعراً وهو ليس من الشعر في شيء ،
والمشكلة أساسها ان الذين يصنفون الشعراء ، ويقيّمون
الشعر بعيدون كل البعد عن دنيا الشعر والشعراء ،

اللغة هي قوام الشعر ، وهي الأصل والأساس
الذي يقوم عليهما ، ويستمد الشعر معنيته من اللغة ،
تعبيراً وبلاغةً وبهتاناً ، ذلك أن الشعر ما هو إلا
مجموعة من الكلمات ، والكلمات بلا شك هي عناصر
اللغة ، بل انها اللغة نفسها ، لكن أية لغة وأية
كلمات تلك التي يقوم عليها الشعر ويرتفع بناؤه ؟
وما كانت الكلمات هي عناصر اللغة ، وان الشعر ما
هو الا مجموعة من الكلمات ، فليس معنى ذلك أن أية
كلمات من كلمات اللغة تصلح لأن تكون أساساً
للشعر ، يرتفع بها بناؤه ، ويؤدي غرضه المطلوب ،
ذلك ان الشعر لا يقوم ولا يبني على كلمات عابرة وكيفما
اتفق ، بل ان الشعر لا يرتفع مستواه بلغة أية لغة ،
بهما كان مستواها ، ولو حدث ذلك لأصبح هذراً
(قيمة له ، ولا فائدة منه ، ولغواً لا يعتد به ، ولا
صل إلى مرتبة الشعر ، ومرتبة الشعر ليست تلك
المرتبة التي تتكون في بعض الأذهان ، ولا تلك التي يتخيلها
عض الناس ، فالشعر هو ذلك الذي يحلق بالشاعر
لى السماوات العليا ، كما يحلق الحلم بالناائم بعيداً
يبدأ في دنيا الخيال ، وينطلق به إلى عالم أرحب ،

العيوب والاختفاء ، منسقة واضحة ، لا يكون له اي قية ، ولا يحدث اي تأثير في السامع ، ولا يتجاوب معه القاري ، والشاعر الصادق بهمه أن ينقل احساسه للناس ، ويمكس مشاعره للآخرين ، ويصور معانيه تصويرا مشحونا بالعاطفة ، لان في ذلك كله ترويحاً عن نفسه ، وتغيباً عن مشاعره ، وتخفيفاً للمعاناة التي يعانها ، بل ان الشاعر الصادق هو الذي يصوغ اشعاره بكل عناية واهتمام ، ويشحنها بطاقة من معانيه ومشاعره واحاسيسه ، مستعيناً بفيض من المعاني الشعرية الرفيعة التي يستمدّها من لغته التي استطاع أن يمسك بزمامها ، ويحيط بمختلف اسرارها وروموزها .

إن عدم الاهتمام باللغة ، لا سيما في هذا العصر الذي نعيشه ، أدى الى نتيجة سيئة غير محدودة بالنسبة لكثير من الكلام الذي نسمعه هنا وهناك ، ونقرأه على صفحات المجلات والجرائد التي نرجح بها بلادنا ، والذي يدعونه شعراً ، وما هو بشعر ، وإنما هو كلمات من بركة قلقة متداعية ، يشوبها القوض في كثير من الأحيان ، ويهبط بها الارتجال ، والضعف هبوطاً يوصلها الى الخضم ، بل ان الكثير من هذا الهذر الذي يسمونه شعراً ، يأتي بلغة عامية ، أو لهجة عامية على الأصح ، واللهجة العامية عندنا هي تلك الكلمات العربية المحرفة المشوّهة ، والتي ينداولها الناس فيما بينهم في أشياء عابرة بعيدة عن الفكر والمنطق ، خارجة عن الخط العربي القويم ، واللسان العربي السليم ، والتي تأتي على غير طبيعتها الأصلية ، إن كتابة وإن قراءة ، بل ان كتابتها أصعب من قراءتها ، كما ان الحرف العربي لا يستقيم بها ، وإنما يحرف عن مواضعه ، وذلك جاءت مشلولة أو ملتوية ، أو ناقصة ، لا تعبر مع الزمن ، ولا تخرج عن بيتها المحدودة الضيقة ، وإنما تبقى متوقفة ، منعزلة ، مناقلة ، ملتوية على نفسها حتى يدركها الموت فتتوت ، ويجر عليها النسيان ذبوله ، ويطويها الفناء طياً ، وعلى عكسها اللغة السليمة ، أو اللهجة العربية القويمة التي حفظت الحضارة ، وروت التاريخ حقياً عن حقب ، ونقلت التراث من الاجيال الماضية ، الى الاجيال الحاضرة ، وما زالت تحافظ عليه إن حاضراً ، أو ماضياً ، وتنقله الى المستقبل .

إن بعض الذين تعوزهم المقدرة ، أو ينقصهم الذهن الصافي ، أو يقعد بهم الكسل ، أو ينفون الجهد من اقصر طريق وبدون جهد أو عناء ، يركضون وراء

هذه هي المشكلة ، والشعراء افراد قلائل من الناس ، والذين يندوفون الشعر وليسوا بشعراء ، قلائل أيضاً ، لهذا يضع مفهوم الشعر ومفهوم الشاعر بين كثير من الناس الذين لا يميزون بين اصالة شاعر وشاعر ، ولا يميزون شعراً عن شعر ، فيختلط الأمر بين الناس ، ويحسبون أن هذا الذي لا تنطبق عليه أصول الشاعر ومميزاته ، مثل ذلك الذي يعيش حياته شاعراً أصلاً ، ساجداً في خياله الخصب ، ومعانيه النفسية الفنية بمختلف الألوان الشعرية والرؤى المجنحة ، لذلك فإن أولئك الذين يكتبون الشعر ولا يهتمون باللغة ، إنما يعبثون بالشعر ، تماماً كما يعبثون باللغة ، والذين يكتبون الشعر بلغة مبهمة غامضة ، وكلمات تعوزها الصراحة ، لا تأتي اشعارهم في المستوى المطلوب من الشعر ، والمطلوب من الشعر أن يكون صريحاً نابهاً من حس شاعري لا غموض فيه ، كما ان اشعارهم تأتي بصورة ملتبسة لا تخدم غرضاً معيناً ولا تصل الى نتيجة واضحة ، والذين يحسبون اللغة خالية من ضوابط واصول منظومها ، أو قواعد ثابتة توضح أغراضها ، ويسخرونها على هذا النحو من الفهم للأشعار ، أو القصائد التي ينظّمونها ، لا شك أن اشعارهم وقصائدهم هذه تأتي خالية من كل معنى ، معاني الشعر ، بل قد تأتي خالية من كل معنى من معاني اللغة أيضاً ، ذلك ان اللغة ان لم تفهم على أصولها ، ونأت بالمستوى الرفيع المطلوب منها في الشعر ، جاء هذا الشعر ضعيفاً ميتاً ، ناقصاً من أهم ميزة ، بل جاء ناقصاً من الأصل ومن الأساس الذي يقوم عليه الشعر .

إن على الشاعر الذي يحس في نفسه أعراض الشعر ودوافعه ، ويشعر بالرغبة الملحة التي تدفعه للتفني به ، والتعبير عن مشاعره ووجدانه ، أن يجد لغته أولاً اجادة نامة ، ويطلع على اسرارها ، ويتبين عناصرها المهمة التي تقوم عليها ، عناصر التعبير والاداء ، وأن يتمكن من معرفة اصولها وقواعدها ، ولغة اصول وقواعد ، بدونها لا يستمر بقاؤها ، قد تتطور مع تطور الحياة ، لكنها لا تفنى كلية ، وإنما تبقى لتنظم من شأنها ، وتصد عنها عاديات الزمن ، وعاديات الزمن كثيرة متعددة ، ومنى تمكن الشاعر من معرفة اصولها وقواعدها استطاع ان يعبر تعبيراً سليماً واضحاً عن خلجات نفسه ، ويصور تصويراً دقيقاً مشاعره واحاسيسه ، بكلمات وعبارات لا لبس فيها ولا ابهام ، ذلك ان الشعر الذي لا يأتي بلغة قوية صحيحة من

الكلمات العابرة المحرفة ، او المتوية ، او المشلولة ، يتصيدونها بكل بساطة ، وبدون تعب ، ليستعملوها في كتابة اشعارهم الضعيفة المتهاكمة التي يملأونها ناولات وتشنجات وعواطف كاذبة ، كما نشاهد الكثير منها على صفحات جرائدنا ومجلاتنا المتعددة الكثيرة هذه الايام ، ولا تحدث الا التأثير السيء على بعض العامة من الناس الذين لا يجدون الا هذا النوع من الهذر والاسفاف ، وجرائدنا ومجلاتنا الكثيرة في الكويت هذه الايام ، تتسابق على الاخراج والمظهر اكثر من تسابقها على المادة والمحتوى ، وتتراكم وراء الالوان اكثر من تراكمها وراء المعاني ، وتهتم بنوع الورق اللامع البراق اكثر من اهتمامها بنوع الكلمات واللغة التي تملأ هذا الورق ، بل وتعتني بحجم الجريدة او المجلة اكثر من اهتمامها بنوع وقيمة ما يحتويه هذا الحجم ، لهذا جاء مظهرها اساءة بالغة للغة ، وتشويهاً متعمداً للشعر ، بما تنشره من شعر سطحي ركيك ان صح انه شعر ، وتعتني باخراجه وتلويحه وتزييفه بالخطوط المنسقة ، والحروف المزوقة ، والالوان الزاهية ، والعناوين اللثوية الحروف . إن الاخراج الجيد ، والمظهر اللائق ، والالوان الجميلة ، والورق الممتاز ، كل ذلك مطلوب ومرغوب ، على ان لا يكون على حساب اللغة والشعر ، والا كانت هذه الوسائل ، مغالٍ هدم لا أدوات بناء ، هدم للغة ، وهدم للشعر ، واللغة هي قوام وحدة الامة ، والشعر هو خيالها وعاطفتها . ولعل الكثيرين من المثرفين على هذه الصحف ، وعلى الشعر الذي ينشر فيها ، لا يحسنون اللغة ، ولا يدركون قيمة الشعر وسموه ، ولذلك راحوا يملأون انهار صحفهم ومجلاتهم بكثير من القول المغلوط الذي يسيء الى سمعة اللغة ، وكثير من الشعر الضعيف الخاطيء الذي يلحق الازى بسمعة الشعر لدى بعض القراء ، الذين ينجذبون وراء بهرج هذه الصحف ، والوانها الصارخة .

ان اللغة من الخيرات المهمة التي تميز الانسان عن غيره من الاحياء التي تعيش على هذه الارض ، ويستطيع بها مخاطبة الآخرين ، ونقل مشاعره وتجاربها في الحياة اليهم ، اي انها ليست وسيلة للفهم فقط ، والمخاطبة بين الناس ، وانما تتعدى ذلك الى ربط الماضي بالحاضر ، ونقل الحاضر والماضي الى المستقبل ، بكل ما في هذا الحاضر وذلك الماضي من تجارب واحداث ، وقرارات ووقائع . والا فما هي قيمة الانسان على هذه الارض بدونها ، وما هي ميزته عن غيره من المخلوقات ، واللغة ايضاً ليست مجرد كلام عابر ،

وليست كلمات جامدة ، بل انها وسيلة لارتقاء الانسان وتقدمه ، واداة لفهم طبيعة هذه الحياة ، والفهم لا يكون بالفموس والابهام ، والارتقاء لا يتم بالهبوط بمستوى اللغة ، وانما يتم الفهم بالوضوح والصرامة ، كما يتم الارتقاء بالسمو والارتفاع عن كل اسفاف .

ان اللغة التي يكتنفها الغموض ، لا تكون مفهومة ، واذا كانت اللغة غير مفهومة اصبحت غير شائعة بين الناس ، واذا وقف بها الغموض عن افهام الناس وعن وعيهم وادراكهم اصبحت ضعيفة ركيكة ، واضحت عاجزة عن ربطهم ، واشاعة التفاهم فيما بينهم ، الامر الذي يؤثر على اندفاعهم في السعي في مناكب الحياة ، ويعطل تطورها ، ويعرقل تقدمها ، ولولا اللغة التي تشيع التفاهم بين الناس ، وتساعدهم على حل مشاكلهم ، واكتشاف اسرار الكون ، لما قامت الحضارات الانسانية العظيمة ، ولما تقدم العلم ، ولما تكشفت للعقول البيرة كواين الارض وما تحويه من عجائب مذهلة دفعت بالانسان الى عالم الفضاء ، وارتداد سطح القمر ، وما زالت تده بالمخترعات ، وتدفعه الى المزيد من البحث والتنقيب الذي قد يوصله في يوم من الايام الى الهبوط على الكواكب الاخرى المرئية منها وغير المرئية والتي قد لا تخطر على عقل الانسان ، ولعل اللغة هي سر الوجود الانساني ، وسر تقدمه ، وسر اندفاعه في البحث عن اسرار الكون ، واذا كان الامر على هذا الجانب من الخطورة والاهمية اصبح لزاماً على اللغة ان تكون في مستوى هذه المسؤولية البالغة ، وان تكون رفيعة منتظمة في معانيها وفي قواعدها واصولها ، وان تكون كلماتها وعباراتها سليمة اصيلة ، مفهومة واضحة ، بعيدة عن كل خطأ او خلل ، ولهذا جهد القيمين عليها بنهذيتها من كل شائبة ، والارتفاع بها عن كل حوشي ، ووضع الاسس والاصول التي تقوم عليها ، والقواعد والضوابط التي تمسك بها عن الضياع ، كل ذلك لخدمة الانسان ، وخدمة تقدمه ، لانها اهم وسيلة من وسائل رقي الانسان وتقدمه ، فهي وسيلة التخاطب والفصاهم بين الناس ، وهي وسيلة تجميع خبرات الانسان على امتداد الحياة ، ووسيلة نقل هذه الخبرات وتطويرها ، وهي وسيلة البحث والتنقيب عن اسرار الحياة والكون ، ووسيلة التعبير عن خلجات النفس ، ووسيلة التعبير عن التفاعل الوجداني داخل كيان الانسان . ولما كان الشعر بمنزلة الوحي للانسان الذي يبحث به عن ذاته ، ويتلمس به اسرارها وخفاياها ، وينفخ به عن مشاعره المختلفة ، ان فرحاً وإن ترحكاً ،

العدواني في مجمع الخالدين



قرر مؤتمر مجمع اللغة العربية
في القاهرة - في جلسته التي عقدها
في اواخر شهر شباط (فبراير)
١٩٧٢ - اختيار خمسة اعضاء
مراسلين للمجمع من بعض الاقطار
العربية ، ومن هؤلاء اختار المجمع
الشاعر احمد العدواني ، وكيل وزارة
الاعلام المساعد للشؤون الفنية ،
ليكون مراسلا من الكويت .
اما الاعضاء المراسلون الاربعة

هم :

- الدكتور زكي المحاسني ، من
سوريا ، الذي مضى الى جوار ربه
في اواخر الشهر الماضي .. رحمه الله
- الاستاذ علي نصوص الطاهر ،
من الاردن .
- الدكتور محسن مهدي ، من
العراق .
- الاستاذ ابو القاسم محمد كرو ،
من تونس .

وقد تسلم الشاعر احمد العدواني
مؤخرا ، من الدكتور محمد عبدالقادر
حاتم ، نائب رئيس الوزراء ووزير
الثقافة والاعلام في مصر ، رسالة
اعتماده مراسلا لمجمع اللغة العربية في
القاهرة .

ومجلة (البيان) ترف خالص
التهنئة للاستاذ الشاعر احمد
العدواني .

اصبح لزاماً ان تنعكس هذه كلها انعكاساً مؤثراً ،
وبلغة متحركة حية ، سواء جاءت هذه الانعكاسات
ضاحكة او باكية ، ولا شك ان الانسان بمشاعره
واحاسيسه وخلجات نفسه يتأثر بمحيطه وبجنته ،
وتنقل هذه الخلجات والاحاسيس والمشاعر تتفاعل
في نفسه ، وتغلي في داخله غليان المرحل ، تندفع عند
بلوغ ذروتها ، وتخرج معبرة عما يحسه الانسان ويشعر
به ، وتأتي من الشاعر ، شعراً غنائياً رائعاً ، ومن كل
انسان حسب مستواه الفكري ومستوى عاطفته ،
وحسب احساسه ومشاعره . فاذا كان هذا الانسان
الشاعر من اولئك الذين راضوا انفسهم ومكنوها من
لغتهم ، جاءت اشعاره غنائية معبرة مؤثرة تنعكس ما
يتفاعل في نفسه بصورة جليلة واضحة ، تؤثر في
السامع وتؤثر في القارئ ايضاً ، لانها صادرة عن
شاعر مرهف الشعور ، شديد الاحساس ، ممكن
من لغته .

ولعل اللغة العربية من اللغات الحية المعبرة ،
التي تمد العربي بالكثير من الكلمات الشعرية المجددة ،
والعبارات التصويرية الرائعة ، ولهذا دعاها العقاد
اللغة الشاعرة ، لان الشاعر العربي يستطيع ان يبلغ
بها الذروة ، ويتفنن بها في قصائده وفي اشعاره ، ويصور
كل خلجة من خلجات نفسه ، وكل موهبة من موهبات
فكره ، ويحلق بها في عالم ارحب من عالم الواقع ،
عالم الخيال ، والشعر ما هو الا خيال ، وحلم من
الاحلام ، والشاعر يبدع في احلامه وفي خياله ، ويستمد
هذا الابداع من لغته الحية الخصبة الفنية بالمفردات
وبالالفاظ وبالمعاني . بل لعل اللغة العربية هي اللغة
الوحيدة ، التي اهتم بها اهلها اهتماماً كبيراً ، واعتنوا
بها اعتناء بالغاً ، ووضعوا لها القواعد التي تضبط
اواخر كلماتها ، تماماً كما وضعوا لها القواعد التي
تضبط اواسط كلماتها ، أي أن هناك نوعين من القواعد
التي تهتم باللغة العربية وترتفع بها بين مختلف اللغات،
وهما النحو والصرف ، وكلاهما يهتم باللغة ، ويرتفع بها
عن سقط الكلام ، وعن كل لفظ حوشي ، يجه الذوق ،
وتنفر منه الاسماع ، ويابه المنطق ، وينحاشه الشاعر
الرفيع . وخلاصة القول ان اللغة العربية هي قوام
الشعر العربي ، وان الشاعر العربي الضليل هو الذي
يرسل اشعاره بلغة عربية فصيحة ، بعيدة عن كل خطأ ،
رفيعة عن كل حوشي .

عبدالله زكريا الانصاري

البنفسج

شمر

خليفة الوقيان



عَقَدَ الْبَنْفُسُجُ فَوْقَ شَعْرِكَ حَاجِبَا
وَعِدَا يُعَانِقُ فِيهِ تَبْرَأَ ذَائِبَا
فَاخْمَرَّ مِنْ عَبَثِ الزَّهْوَرِ وَلَهْوِهَا
خَذَاكَ وَانْتَفَضَ الْحَيَاءُ مُغَالِبَا
وَتَسَلَّلَتْ مِنْكَ الْإِنَامِلُ خُلْسَةً
حَتَّى تَعَاتِبَتْهُ ، فَكَانَ الْعَاتِبَا
وَتَقَطَّعَ الْعَقْدُ الْمَدْلُلُ غَاضِبَا
لَمَّا نَسَجْتَ عَلَى الْجَبِينِ كَوَاكِبَا
فَتَعَلَّقَتْ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ زَهْرَةً
حَتَّى تَدَاعِبَ فِيهِ شَيْئًا وَاثِبَا
وَانحَلَّ شَعْرُكَ كَالْأَصِيلِ غَدَائِرَا
تُرْخِي عَلَى وَرْدِ الْخُدُودِ مَسَاجِبَا
فَقَبِّلْتُمْنِي عَيْنَاكَ ، مَاذَا يَبْتَغِي
هَذَا الْبَنْفُسُجُ ، مَا أَرَاهُ تَائِبَا

●●●

شُقْرَاءُ يَا شَفَةَ الْجَمَالِ وَثَعْرَهُ
نَطَقَ الْجَمَالُ بِوَجْنَتَيْكَ مَوَاهِبَا
أَنْتِي لِأَلَحْ خَلْفَ عَيْنِكَ دَجَلَةٌ
تَهْمِي الْعُصُورُ بِضَفَّتَيْهِ مَوَاكِبَا
وَأَرَى الْفُرَاتَ مُصَفَّقًا مَهَلَلًا
يَسْتَلُّ مِنْ جَفْنَيْكَ مَجْدًا غَائِبَا
أَفَلَا يَشُوقُ الزَّهْرُ وَهُوَ مُتَيَّمٌ
بِالْحُسْنِ يَرْتَفِفُ مِنْ جَنَاهُ مَسَارِبَا
أَنْ يَسْتَقْهِيَ مِنْكَ الْعِنَاقَ لَعْلَهُ
يَرْقَى إِلَى حَرَمِ الْجَمَالِ مَرَاتِبَا

خليفة الوقيان

الحضارة
الانسانية

في
تطوير

مزايا
العربية

بقلم / الدكتور عبد الهادي محبوبه

من أواح : فقد كانت حضارة الاغريق واليونان نظرات في الكون وما وراءه فكانت فلسفية وليست لغوية ، وحضارة الرومان نظرات في الحياة والتأنيس فكانت تشريعية وفروسية وليست لغوية ولا بلاغية ، وحضارة الفراعنة والهنود فيما وراء الطبيعة فكانت دينية لاهوتية وليست لغوية ولا بيانية ، وحضارة الفرس في الحكم والادارة فكانت سياسية مدنية وليست لغوية ولا بديعية . . . ثم جاءت حضارة العرب المسلمين فكانت جماع هذه المفاهيم وما ابدعه الفكر العربي ودعا اليه الاسلام ، صيغ في اساليب لغوية محكمة ، وتعايير فنية مثقفة ، ارتفع البيان فيها إلى مرتبة الاعجاز كالذي ورد في القرآن الكريم ، حتى خلدت أمة العرب بخلوده . فإذا رجعنا إلى اللغة العربية نجد بها قد اتسمت بصفات ميزتها عن غيرها من اللغات حتى عن شقيقاتها السامية ، وتميزت بخصائص واسرار لغوية انفردت بها من النادر ان نجدها في سواها . . . وهي تبدو واضحة بعد دراسة - فيلولوجية - في اصول مفرداتها وفي نحوها وعروضها ، وأساليب البلاغة في تعابرها ، وفي قواعد الاشتقاق والتصرف والتوليد في استعمالها . . . ولئن وجد بعضها في اللغات الأخرى فهي في العربية أحسن حفظاً ، وأوفر نصيباً (٣) .

وكما تميزت هذه اللغة ببيائها المعجز ، وانفردت بخصائص لا تتوافر حتى في شقيقاتها من اللغات السامية فإنها كانت الوسيلة الاساسية لتدوين جميع ما أثر عن العرب من ألوان الفنون ، وأنواع العلوم ، والحجة الواضحة على عمق تفكيرهم ، وثقافة أعماقهم ، ورقة حواسهم ، ودقة أفهامهم . . . ذلك أن سعة اللغة وإيجازها ، ودقة التعبير في الألفاظ والتراكيب ، والاستعارة والكتائب

إذا قيت منازل الأمم في التاريخ بما تحلف وراءها من حضارة تساعد الانسان على تقدمه ورفع مستواه في الحياة ، فليس من شك بأن أول ما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار في تقييم حضارة الأمة وتحديد مكانتها بين الأمم المتحضرة ، هو لغتها ، وما تملك هذه اللغة من تراث لفظي يعين الفكر على الإبداع والكشف ، ومن مرونة في التعبير تشجعه على التجديد والتدوين .

وإذا كان الإنسان هو اعظم المخلوقات على الإطلاق بفضل عقله فإن اللغة التي يتكلمها هي أفضل الظواهر الاجتماعية التي تدلنا على قيمته ، وعلى مدى قابليته . . . وبواسطة اللغة كلاماً مسموعاً ، وكتابة مقروءة نتعلم ، وترداد معارفنا وتبادل العلم . . . ويكتفينا دليلاً على قيمة اللغة وأثرها في تطوير الكائنات أناساً لولاها لم نستطع فهم الإنسان ، ولا كنه الحياة ، ولم نعرف شيئاً عن أسرار الطبيعة وفلسفة الوجود . . . لذلك قال الفيلسوف كانط الإنسان يعمد إلى تعقيل الوجود بواسطة اللغة .

فاللغة نعمة وهبتها الله للإنسان لتكون سبيله لمعرفة نفسه ، ومعرفة العالم من حوله ، وليست هي مجرد وسيلة للتعبير عن ذواتنا والاتصال بغيرها ، وإنما هي من اعظم القوى التي تجعل من الفرد كائناً اجتماعياً (١) ، لأنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان (٢) .

اللغة والحضارة :

ولم تعرف أمة تجسدت حضارتها في لغتها كالأمة العربية فكانت من الخالدين بفضلها ، فقد سجل التاريخ حضارات قديمة اشتهرت ثم سرعان ما اندثرت ، ولم يبق من أثارها سوى اللعن والأطلال ، وما تشير اليه الكتب من رقم وتكشف عنه الحفريات

اللغة تجسيد للفكر :

من المأثور عن سقراط انه حينما جزع من شخص كان بين تلاميذه لا يتكلم قال له : يا هذا كلمني حتى أراك . . . يريد بذلك أن تلميذه سيبقى غامضاً ما دام صامتاً لا يتكلم ، لأن الكلام تعبير عن فكره ، عن شخصيته ، عن مدى قابليته للتفكير والتعبير معاً ، لأن اللغة تجسيد للفكر ، وإذا ما تحدث أحد عن لغة أمة فإنه يتحدث عن ظاهرة من ظواهر فكرها إلى النابض ، إذ لا يمكن الفصل بين اللغة والفكر الذي يكتب أو يتحدث بها.. وبين الفكر واللغة من الصلات المتبادلة ما بين الروح والجسد . فكلاهما مؤثر ومتأثر بالآخر ، فكلمتا ارتقى الفكر في شخص ما بالعلم وغيره نمت اللغة معه ، وكلما ضعفت اللغة فيه شمل الضعف فكره ، لأن الألفاظ والتعابير دوال على معان ، فهي معلومات تنمي الفكر وتزيده علماً ، فقد أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة : أن اللغة فكر وتعبير عن فكر وليست جمعاً لافعال دون وعي وانتباه لأن اللغة كلام ، والكلام يعرف النحاة : قول مقيد : ، دال على معنى تام ، وبلاغته في مطابقتها للظروف والمناسبة . . . إن تكوين الجمل المعقدة عملية فكرية ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال جهد عقلي آخر يدلنا على الصلة الوثيقة بين الفكر والتعبير عنه . لذلك اعتبر بعض المختصين أن اللغة وظيفة للفكر ، وأنه ينمو بها كما تنمو سائر الأعضاء بوظائفها . . . فليس من الممكن أن يكون فكر يمزج عن الكلمات .

وقد تفرع عن علم مواطنهم وانتشروا في الأرض ونشروا معهم لغتهم ومعارفهم ، وكان عرب الحجاز على اتصال مستمر بالأقطار العربية - طلباً للعرى أوبسب الغزو ، وبالأقطار غير العربية المجاورة عن طريق التجارة ، غير أن هذا الاتصال اتخذ شكلاً أوسع وأعمق بعد الإسلام . . . كان من قبل اتصالاً تجارياً فأصبح بعد الدعوة إلى الإسلام اتصالاً سياسياً وفكرياً ولغوياً واجتماعياً . وبهذا نشأت في تلك الأقطار التي شملها الفتح حضارة جديدة لأنها حلت اللغة العربية حاملة معها رسالتها الإنسانية الخالدة.

ازدهار اللغة العربية :

وكان للقرآن فضل كبير في إمداد اللغة العربية والحضارة الإنسانية بثروة غزيرة لا تقدر بشئ ، سواء أكانت في الألفاظ والتعابير أم في التشريعات الاجتماعية ، وفي ما نجم عن دراسة أسلوبه ، وبيان أسرار الإعجاز فيه ، من وضع علوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة بفروعها الثلاثة .

ولكي تستكمل هذه اللغة عناصر نموها ، وتؤدي الغرض الحضاري من وجودها وانتشارها فقد مرت بمرحلتين في آن واحد : الأولى مرحلة الجمع والتشوين التي ازدهرت في القرن الثاني الهجري حيث بدأ الشعور بضرورة حفظ التراث وحمايته من النسيان والضياع فنوافذ الرواة على البادية يستقصون أخبار العرب منذ الجاهلية وأشعارهم وأيامهم ولغتهم وبلادونهم . . . وهذه الخطوة وضعت اللغة قواعدها الأساسية ومعالجتها الأولى . . . ثم مرحلة النقل والترجمة حين تزايد اختلاط العرب بالأمم والشعوب المتحضرة ، وتزايد شعورهم بمسح الحاجة إلى معرفة

، والزيادة والحذف ، والاضمار والتبويض والكف . . . كل هذه اساليب من التعابير اللغوية تنعكس لنا أحاسيس الناطقين بها ، ونستشف من خلالها صوراً لأفكارهم ، وما تتدفق به من حيوية وذوق وإبتكار . . . وما كانت خيالاً كلها وإنما كانت تعبيراً عن واقع حياتهم وتحليلاً لعالم أفضل ينشدونه في أشعارهم وأسماهم .

فضل اللغة العربية :

فلم نسمع بلغة اجتمع لها من رقة اللفظ ودقة المعنى ، وسلاسة التعبير ما عرف من اللغة العربية ، فإن المتبحر لأحكامها اللغوية وقواعدها النحوية والصرفية والدراس لأسرارها البلاغية والتقديرية ليقتف منهشاً أمام تماثل مفرداتها ، وموسيقى تعابيرها حتى ليخيل إليه إن لكل كلمة واضعاً مرهف الحس ، وأن لكل تعبير صائفاً أوتي من التفكير وسلامة الذوق ما لم يأت سائر الناس . . . الأمر الذي تندر لهذه اللغة الانتشار والصمود، وللامة الناطقة بها ، المبدعة لها ، البقاء والخلود (4) .

وقد تادت الأمم القديمة يشرف لغاتها وأفضليتها على اللغات الأخرى : فادعى العبرانيون أن لغتهم هي الأولى في الفضل لأن الله قد علم آدم الأسماء بها (5) وزعم الآراميون أن لغتهم هي الأفضل لأنها لغة المسيح وأمه المذراء . . . وشغف العرب بلغتهم وأعجبوا بها لأنها لغة التنزيل الذي نزل به الروح الأمين (6) . ولما فيها من إيجاز لا يوجد في غيرها من اللغات (7) .

وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر شهادة رجل من اعلام اليهود القدامى في تفصيل لغة العرب ومزنتها . . . أوردنا ابن الأثير في كتابه المثل السائر ، قال : « حضر عدائي في بعض الأيام رجل من اليهود ، وكنت في الديار المصرية ، وكان اليهود في هذا الرجل اعتقاد ، لمكان علمه في دينهم وغيره ، وكان كذلك . فجري ذكر اللغات ، وأن العربية هي سيده اللغات ، وأنها اشرفهن مكاناً ، وأحسنهن وضعاً ، فقال ذلك الرجل : كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخر فغنت التقيع من اللغات قبلها وأخذت الحسن . ثم إن واضعها تصرفت في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر ، وخفف ما خفف ، فمن ذلك اسم الجبل ، فإنه عندنا في اللسان العبراني - كومييل - محالاً على وزن - فويل - فجاء واضع العربية وحذف الثقل المستشعب وقال - جبل - فصار خفيفاً حسناً . وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة » (8) .

وقد بلغ من اعزاز العرب بلغتهم ، وحبهم لها أنهم حينما فشا اللحن في أوساطهم ، أرسل الامراء والخلفاء من الأمويين والعباسيين أبناءهم إلى البادية ليتدربوا على فصيح الكلام واستقدموا لهم من الموديين المعروفين من يقوم السنتهم ، ويصحح لغتهم لاعتقادهم بأن اللسان نصف الإنسان كما قال شاعرهم زهير ابن أبي سلمى :

لأن الفكي نصف ونصف فؤاده
فلم يسبق إلا صورة اللحم والدم

مزايا العربية في تطوير الحضارة الإنسانية

الأسبان ناكداً للحال في الغرب آنذاك ، وهو وصف ينطبق على الشرق أيضا في ذلك الوقت .

من هنا اعتبرت اللغة كائناتاً حياً يولد مع الأمة التي تتكلم بها ، ويرعرع في أحضانها ، فتظهر عليه سماتها وخصائصها وذوقها مثلما تتمثل فيه أفكارها وآراؤها . . . ولهذا فإن حياة اللغة منوطة بحياة الأمة ، فإذا كانت متفوقة غالبية أصبحت لغتها منتشرة سائدة ، وإذا كانت مغلوطة خاملة أمست لغتها منكسمة مهزومة ، فالناس يخشون الغالب المنتصر ، ويتبرأون إليه ، ويقفون به زبياً وكلاماً ، ويقلدونه سلوكاً وطعماً .

ويوم كانت العربية هي لغة الحكم والعلم معاً إنتشرت في الاوساط السياسية والبيئات العلمية ، في كل مكان تطلعه راية الاسلام ، وأخذ الطامعون من الغربيين في طليطة واشيلية وقرطبة وغيرها من مدن الأندلس في اسبانيا يتهافون على تعلم العربية ودراسة علومها ليتزودوا بالآلوان المزرقة الانسانية ، وكذلك التاهبون من الشرقيين في خراسان واصفهان وما وراء النهر . . . كما أخذ الطامعون في المناصب الحكومية يتقنونها حديثاً وكسابة هنا وهناك ، وبهذا أصبحت لغة الكتاب والحياة اليومية معاً .

اللغة العربية وخصومها :

وقد تعرضت اللغة العربية كما تعرضت الأمة الناطقة بها إلى معارك شنها خصومها والمنافسون لها منذ فجر الإسلام حتى اليوم ، ولكنها خرجت منها منتصرة ظافرة ، وفرضت وجودها لأنها صالحة للبقاء ، ولولا صلاحها لعفى عليها الدهر وتلاشت كما فني غيرها من اللغات فلم يبق منها سوى الاسم .

أجل لولا صلاحها في ذاتها للحياة وللبقاء لفنيت ولو اعتمدت العربية في انتشارها على السلطة الحاكمة أو سلطان اللغة الفارسية لاحتضرت في النطاق الديني للشعوب المسلمة أو في المجال الرسمي خضوعاً للسلطة السياسية ، ولكنها اللغة المنة الواسعة ، التي تستجيب لمطالبات الفكر المتفجر الجديد ، وتمده بالفردات والتعابير وتلبي حاجاته العقلية والوجدانية ، لذلك لم تصمد أمامها اللغات الأجنبية التي فرضتها الحكومات المسيطرة قبلها على الاقاليم المفتوحة ففي مصر لم تقف اليونانية التي استأثرت بالمجال الثقافي والرسمي ثلاثة قرون قبل الميلاد وثلاثة أخرى بعده ، أمام اللغة العربية (٩) . . . وفي المغرب لم يستطع الرومان بعد خمسة قرون من الاحتلال أن يتركوا ما يصمد أمام العقيدة الاسلامية واللغة العربية (١٠) . . . ومثل هذا في العراق والشام بالنسبة للغة الفارسية والبيزنطية . لذلك استطاعت العربية بعد وقت قصير ، ومن غير مشقة أو اكراه أن تكون لغة الأمة الاسلامية . . .

ما ورثت تلك الأمم والشعوب من حضارات وثقافات فاقبل الذين أوتوا نصيباً من علم ، سواء أكانوا من العرب أم من غيرهم ، على ترجمة التراث الذي خلفته تلك الأمم العريقة في العلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية وفي الفنون والآداب .

وقد اثبتت اللغة العربية صلاحية فائقة للحياة المتطورة باستطاعتها نقل ذلك التراث الحضاري الضخم الذي عرف عن اليونان والرومان والهنود والفرس ، بحيث أصبحت اللغة العربية تضم مكتبة هائلة شملت الشرق والغرب .

وبحركة الترجمة هذه حفظت اللغة العربية تراثاً إنسانياً عظيماً لولا نقله إليها لضاع الكثير منه . . . وبالإضافة إليه مما ابتدئ العرب المسلمون وغيرهم ، وتعميمه بين الناس دون تمييز بين لون وجنس كما دعا الاسلام ، أفادت الشعوب التي انضوت تحت لوائه قروناً طويلة ، كما أفاد الغرب في نهضة الحديثة .

وكما كانت العربية ظاهرة تدل على حضارة الأمة الناطقة بها ، وعلى مكانتها في التاريخ فإنها كانت من أهم وسائل الحضارة الانسانية ودعماً وتقلماً إلى الامام . فقد ساهمت في تطوير حضارة الغرب مثلما شاركت في غرس معالم الحضارة في الشرق نحن نعرف الشيء الكثير عن الدولة الأموية في الأندلس ، وما أسست في عهدها المزهرة ، وخاصة في عهدي عبد الرحمن

الثالث ، وابنه الحكم الثاني ، من مدارس ومكتبات ، ومعاهد للدراسات العليا ، ودور للترجمة من العربية وإليها . . . كان لهذه المؤسسات الفضل الكبير في تقدم الفكر الغربي وفي تطوير الحضارة في أوروبا الحديثة : فإن المؤرخين من المستشرقين فضلاً عن العرب قد بحثوا في دراساتهم لهذه الأوربة الحديثة العوامل المؤثرة فيها وأثبتوا أن من أولها أثرها في حركة الترجمة هذه ، وخاصة ما كان منها إلى اللغات اللاتينية والاسبانية والاطاليسية والفرنسية في القرن الثالث عشر الميلادي . . . وذكرنا الامثلة الكثيرة على ذلك .

وفي الوقت نفسه كانت اللغة العربية تسير بخطى أوسع نحو الجبال الشرقية من مركز الخلافة في دمشق وبغداد ، فتوغل في جنوب آسيا ووسطها حتى اجتازت الهند وبلغت الصين . . . وعلى الرغم من أن معظم الفاتحين وحكام الدويلات هنا من غير العرب إلا أن العربية شاعت في هذه الاقاليم واصبحت لغة التعليم والتأليف والترجمة كما هي لغة التحدث عند المتعلمين والمثقفين ، وبحيث أصبح الجبل من الذاكرة لا يحسنون أدباً أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية ، ويتمون في كل مكان البناء على الدخائر من الكتب العربية وقد ينظون بها شعراً يفوق شعر العرب أنفسهم في الاناقة وصحة الأداء (٩) . كما قال احد الكتاب

تتجه التية لدى المسؤولين في
(رابطة الادباء في الكويت) الى البدء
في نقل وقائع جميع التـصـدـوات
والمحاضرات ، التي اقيمت في مقر
الرابطة منذ انشائها ، عن اشرطة
التسجيل الصوتي المحفوظة لديها ،
الى نصوص يجري طبعها في كتب
تصدر تباعا عن الرابطة ، لتكون
مرجعا فكريا قيما للباحثين ، وسجلا
حافلا باطيب الثمرات الادبية .

يعقد في القاهرة في الفترة من ٦
الى ١١/٥/١٩٧٢ مؤتمر « الوحدة
والتنوع في الثقافة » ، الذي دعت اليه
المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم .
وقد تم تشكيل وفد رابطة الادباء
في الكويت الى هذا المؤتمر من
السادة :

احمد العدواني
محمد احمد المشاري
سليمان الشطي
خالد عبدالكريم الهلالي
بينما حالت ظروف قاهرة دون
اشتراك السيد خليفة الوقيان في هذا
المؤتمر ، ومؤتمر الصحفيين العرب
الاخير .

يعد الكاتب السوري الاستاذ
(حسان الكاتب) ممجعا تفصيليا
للكتاب العرب المعاصرين تحت عنوان:
(الموسوعة الموجزة) . وهو يرجو
من السادة الكتاب ، في كل مكان ،
من لهم مؤلفات ادبية وثقافية
مختلفة ، التكرم بوفاء واضع
(الموسوعة الموجزة) بترجماتهم
مع ذكر مؤلفاتهم ومكان وتاريخ
طباعتها (باللغة العربية) لنشرها
في الموسوعة .

العنوان :
حسان الكاتب
ديشق - الجسر الابيض

ترويت
ندوات
الرابطة
ومحاضراتها
المجلة

الهمة
والشغف
في
الثقافة

نداء

فلم يكن هذا التحول السريع الذي شهدته هذه المنطقة الواسعة
من العراق شرقاً حتى المغرب الأقصى غرباً ، خضوعاً لحكم
جديد بالقوة والسيف ، وانما كان نتيجة اقتناع بعقيدة انسانية
جديدة ، أفضت الفكر من عبادة الأوثان ، والجسم من استعباد
الساسانيين والروم واليونان ، ولولا هذا لما انتشر الاسلام شرقاً
وغرباً في خمسين عاماً ، ولما بقيت تلك الشعوب مستظلة
بلوائه طوال هذه الاعوام . .

إن انتشار اللغة العربية بهذه السرعة وشموها هذه الرقعة
الواسعة من المحيط الأطلسي حتى مشارف الصين ، وتقبل الأمم
والشعوب لها واقبالها على تعلمها ودراسة علومها يعد من
معجزات التاريخ ، وإن تدارس العلماء وسهرهم على نشرها ،
 ووضع العلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة لضبطها
وصيانتها . . . كل ذلك يعود الفضل فيه الى ما كانت تحمله معها ،
من لواء دين جديد ، ذلك هو الاسلام ، دين الحق والخير والجمال
دين العدل والمحبة والمساواة ، ذلك الدين الذي حمل معه أينما
حل تكويناً اجتماعياً فاضلاً ، ومثلاً اخلاقية عالية ، ذلك الدين
الذي صان اللغة العربية وحمل أهلها طوال اربعة عشر قرناً ،
وحفظ لها مقامها الأدبي الرفيع بين اللغات الحية حتى اليوم .



من المراجع :-

- ١ - السيوطي : الزهر في علوم اللغة صفحة ٢٩٤
- ٢ - الطقاد : اللغة الشاعرة صفحة ٣
- ٣ - التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج ٢ الليلة الخامسة والعشرون .
- والزغشري : الفصل ج ١ / صفحة ٣ - ١٨
- ٤ - سفر التكوين : الاصحاح الثاني ، الآية ١٩/٢٠
- ٥ - ابن فارس : الصاحي صفحة ١٢
- ٦ - القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ صفحة ١٤٩
- ٧ - ابن الاثير : المثل السائر ج ١ صفحة ١٩١
- ٨ - ابراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي صفحة ١٦
- ٩ - عائشة عبد الرحمن : لغتنا والحياة صفحة ٤١ - ٤٣
- ١٠ - ابراهيم حر كات : المغرب عبر التاريخ صفحة ٧٥
- ١١ - هارولد دبلي : الجيلية في مصر ، ترجمة زكي علي صفحة ٥٥





للأرشيف

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقطات عابرة من الماضي القريب



على
زكريا
الأنصاري

قصة
بقلم

وتوقف قليلا وصاح بصوت عال مسموع

— مع صاحبي صالح .. نلعب ...

وانته مع صالح الى ساحة (الفريج) حيث يجتمع صغار الحي لمزاولة لعبة (التيلة) .. وكانت هذه اللعبة في عز موسمها .. وكان محسن قد تعرف على صالح منذ بضعة ايام حيث ان عائلة الاخير انتقلت مؤخرا الى حيهم .. وقد جذبته اليه طيبة قلبه ..

طرق طارق اللباب فهب محسن راكضا لفتحه .. وكما كان قد توقع فقد كان الطارق صاحبه صالح .. وتبادل معه التحية ثم استهله قليلا وكر راجعا الى الداخل وعاد في الحال وفي يده كيس فيه مجموعة من (التيل) وسمع صوت والدته وهو يدلف الى الدهليز متجها الى الباب :

— اين ذاهب ؟

وداعته وسهولة انتياده .. وبادر صالح زميله ..

— تسلفني قليلا من (التيل) ؟

— اليس معك شيء ؟

— لا ..

وفتح محسن الكيس واخرج ست (تيل) وسلمها اليه .

— شكرا ساعيدها اليك فيها بعد .

— اين (تيلك) ؟ .. لقد كانت معك مجموعة منها امس ..

— لعبت بها فخرتها ..

— كلها ؟

— كلها ..

— مع من لعبت ؟

— مع خالد ..

— من ؟ خالد ؟

— نعم

— ولكن خالد احسن لاعب في (الفريج) ؟

— آ ... والله .. هذا صحيح ..

— فلماذا لعبت معه ان ؟

— لم اجد احدا غيره

واستنكر محسن في داخله سذاجة صاحبه .. فمل من العقل اذا لم يجد احدا في مستواه ان يلعب مع من هو ابر منه وهو متيقن بانه خاسر في نهاية الامر ؟ .. وانتبه محسن على صوت ينادي على صاحبه .. والتفت ناحية الصوت واذا برجل ملتصق بهتل الوجه مبنسط الاسارير يوميء الى صالح ويطلب اليه القدوم .. واسر اليه صالح ان هذا ابوه .. واتبل الانسان عليه ...

— ها .. صالح ... الى اين ؟

— مع صاحبي .. نلعب

— وما اسم صاحبك ؟

— محسن

— كيف حالك يا محسن ؟

اجابه محسن بصوت منخفض ووجهه الى الارض

— زين

— ما اسم ابيك ؟

— احمد

— كيف احواله ؟

— زين

— سلم لي عليه

وهز محسن رأسه بالموافقة ولم يجب .. والتفت الاب الى ابنه وقال له :

— وماذا ستلعبون ؟

— التيله

وقال مداعبا وهو يشير الى محسن

— هاه ... لا تخليه يغلبك ..

— لا

— ولا توسخوا ملايسكم بالتراب

— حاضر ...

واستلطف محسن هذا الرجل .. واحبه من قلبه ... انه يخاطب ابنه باسمه الحقيقي .. ولا يصغره ... واعجب بالذات بالطريقة الودية التي عاملها بها ... اين هو من والده الجاد الصارم المتجهم الوجه ؟ .. ولكن طلبه الصعب هذا .. تبليغ سلامه الى والده .. الا يعلم انه لا يجزؤ على التحدث الى والده ؟ بل انه لا يجزؤ حتى على النظر اليه ... فكيف يبلغه السلام ؟ ... الا يعرف ماذا تكون النتيجة لو فعل ذلك ؟ التوبيخ والضرب لانه يتحدث مع من هو اكبر منه سنا ! فان هذا العمل في حد ذاته ذنب لا يغتفر .. انه يعلم ذلك جيدا بالفرصة ... ونميا هو يهم بالذهاب استلطف انتباهه صالح وهو يتوجه الى ابيه برجاء ..

— بابا .. من فضلك اعطني آتة ...

ودهش محسن .. كيف يتجرأ صاحبه ويخاطب والده بهذه الطريقة ؟ ... ويطلب منه مالا ايضا ؟ وزادت دهشته حينما لاحظ ان اباه لم يغضب لجرأته .. ولم يجره لطلبه المال .. وانما قال مداعبا :

— آتة كاملة مرة واحدة ؟ .. وماذا ستفعل بهذا المبلغ ؟ ..

— اشترى (تيل) و (سمسمية) ...

وقال له وكأنه يحاول ترضيته واقتناعه

— كلا ... هذا مبلغ كبير ... يكفيك بيزتين ...

— زين ...

— بيزة للتيل .. وبيزة للسمسمية

— طيب ..

واخرج الاب الطبيب المبلغ من محفظته وسلمه الى صالح ...

— مشكور بابا .. في امان الله

— في امان الله ...

ه... هذا لا يجوز .. انه تصرف غير محمود حسب ما تعلم في بيئته ... وخطأ لا يجب ارتكابه .. ثم ان تعليمات الوالد تشير الى ان المحافظة على الرف ... وليست في جيوب السترة .. واسقط في يده ... ولم يدر ماذا يفعل ... وبقي هكذا حائرا تلقا .. مربوكا يبحث عن المحافظة بخط .. وعلى غير بصيرة ... وفجأة .. وكما كان متوقعا .. دخل والده كالعاصفة وهو ينفجر غضبا .. وبدون مقدمات انهال عليه ضربا ولكما بعنف وعصبية .. وابنسا اتفق ... على الوجه .. والكف .. والراس وهو يهدير بالشتائم ..

اليله ... الثور .. ساعة كاملة لاحضار المحافظة فاي .. حصار ..

وكانت يد الصغير ترتفع لحماية نفسها من الاذى .. ولكن اين هذه اليد الصغيرة المتخاذلة من تلك اليد القوية الجبارة الهاوية كالطريقة ... وتحول عنه ابوه بعد ان روى غليله ولسانه لا يكف عن الشتائم ... واخرج المحافظة من احد جيوب سترته اللقاة على السرير وخرج مخلفا الصغير في حالة يرثى لها من السذل والانكسار وهو ينشج بحرقه والم .. وانسحب محسن الى غرفته واتزوى في ركن منها وراح يبكي بصوت مكتوم يتقطع وان الصرة تفرى قلبه لا بسبب الالم الذي يعانيه ولكن لشعوره الداخلي بالظلم الذي لحق به والذي لا يجد له في عقله مبررا ... وصار تشجيعه يرتفع كلما تذكر تفاصيل الحادث وتحقق من عجزه في رد الظلم عن نفسه او استرداد كرامته ... واستفاق محسن من هذا الكابوس الذي تلاحقت صورته سريعة حية في ذهنه كأنها حدثت قبل قليل .. وانتبه الى نداء صاحبه وهو يدعوه الى اللعب معه .. فاستجاب للنداء صامتا .. وانشغل في اللعب فترة من الزمن .. وركز ذهنه فيه وحاول ان يظفر على زميله .. فهدأت خواطره .. وغفل عن ذكرياته الحزينة .. القاتنة ... حتى حان المساء .. وعلا صوت المؤذن ينادي لصلاة المغرب .. فكف الصغار



وانصرف الصغيران الى مكان لعبهما .. وابتسلا رأس محسن بالخواطر ... هل هناك اباء بهذا اللطف؟ وهل هنالك آباء يعاملون ابناءهم بهذه الطريقة الودية؟ ويتسلطون معهم هكذا في الكلام؟ ... ويصغون الى طلباتهم ... ويحققون ما امكن منها؟ ... وتصور حاله مع ابيه ... ماذا يا ترى كان يحدث لو تجرأ فكلم والده وطلب منه مالا؟ ... شتية قاسية تخرسه وصغعة شديدة تنل لها اذنه .. هذا امر محقق ... يدركه بالسليقة ... ولكنه لا يمكن ان يحدث والده على اي حال ما دام يعلم في قراره بالنتيجة الوخيمة .. وغبط صاحبه كثيرا على هذا الاب الطيب .. وود في سره لو ان هذا كان اياه ... او على الاقل لو ان اياه كان مثله ... يتحدث الیه باطلاق .. واطمئنان .. ويبيته هبومه .. ومشاكله دونها خوف .. او رهبة ... او توقع للمعقاب ... اذن لزال هذا الهم الثقيل الجاثم على صدره كأنه معلول وهو بعد سليم .. معافى ... وتذكر حادثة الالم حينما حضر ضيوف والده الى (الديوانية) ... وناداه والده فذهب راكضا ودخل (الديوانية) خجلا .. مترددا .. مطاطيء الرأس .. وبادره والده بلهجة الامة ...

— محسن ... احضر محافظتي من الغرفة .. انها على السرف ...

وهب محسن راكضا لتلبية الطلب وصوت والده الحاسم يكاد يخترق اذنيه

— باللا بسرعة ... لا تتأخر ..

ودخل غرفة والده ... وبحث عن المحافظة على الرف بلهفة .. بحث عنها على جميع الرفوف .. ولكن لا اثر لها ... وقلب بعض الكتب الموجودة والغبار ينتشر من حوله .. ورفس القوارير .. وازاح المباخر والمرشات على بعض المحافظة تحتها .. ولكن دون مائل .. وسرى الخوف في اوصاله .. بالمحافظة اللعينة! .. اين هي يا ترى؟ .. ان والده ينتظره الان بصبر فارغ .. وهو يعرف طبعه جيدا .. انه متعجل ... ولا يعرف التسامح .. ولا يتقبل الاعتذار ... واستمر في البحث بعصبية .. وترغزة .. وتخطب .. وقلبه يرتجف وجلا من تأخره .. وعقله مشغول فيها ينتظره من عقاب ... ولكن لا جدوى ... واستبقت به حيرة قاتلة ... ماذا يفعل الان؟ .. ايعود الى (الديوانية) ويخبر والده بواقع الامر؟ ... انه يخشى العقاب ولكن هل يبقى الى الابد؟ .. ولاحت له ستره والده على السرير .. فليبحث في جيوبها عن المحافظة عليها في احدها .. وابتدت يده الى السترة .. ولكنها توقفت قبل ان تمسها .. ثم ارتدت ... انه لم يكن يجرؤ على التفتيش في جيوب



جميعا عن اللعب .. وتوجه بعضهم الى منازلهم ..
وتوجه البعض الآخر الى الجائع لاداء الصلوة مع
الجماعة ..



استيقظ محسن مبكرا على العادة .. وذهب الى
الحمام ليتوضأ ويمسلي صلاة الصبح ... وادلى بالدلو
في البئر .. واحس بها تصل الى قعره .. ثم وهي
تمتلئ بالماء .. وسحبها اليه ببعض الصموية ..
والبكرة يصر صريرها ... ثم فجأة توقف الحبل
بيديه ... وتعذر سحب الدلو .. ورفع بصره الى اعلى
ليمعرف العائق .. وادرك السبب في الحال ... فقد
غصمت فتحة البكرة بعقدة في هذا الحبل البالي ...
يبدو انه مقطوع وموصول الطرفين على شكل عقدة ..
واخذ يشد الحبل اليه بقوة اكبر لتحرير العقدة من فتحة
البكرة .. ولكن يبدو انه لا جدوى ... انه كلما اشتد
السحب كلما غاصت العقدة اكثر فاكتر في فتحة
البكرة التي تضيق عليها حتى التصقت بها تماما
وتعذر معها السحب .. ونظر الى الدلو فتنبأ له انه
قريب منه فانكأ ببطئته على حاجز البئر وانحنى
لالتقاطه ولكن يده بالكاد تصل اليه ... وخشى ان
هو تهادى في انحنائه ان يخلل توازنه ويسقط في
البئر ... وسع صوت والدته - وهو منغمس في
محاولاته - وهي تنادي عليه من الحوض تستعجله
للقيام بعمل ما فاجابها بصوت مرتفع يسرع
يستنهلها ويفيدها بانه مشغول بزعج الحبل ...
وطرات على باله - وهو في حيرته - فكرة للحل ...
يجب عليه اولاً تخلص العقدة الى الجانب الآخر من
الحبل الذي يتدلى منه الدلو ... ثم جذبه اليه بقوة
مرة واحدة فلمل ذلك كفيل بتحرير العقدة .. واقتنع
بالفكرة وبادر فمسك الحبل الذي بجانب الدلو
بكلتا يديه وجذبه الى اسفل بلطف ... ولكن
بدون نتيجة .. فلا زالت العقدة بختنة في فتحة
البكرة .. ولم تنزحزح من مكانها .. واعاد الكرة فشد
الحبل الى اسفل هذه المرة بكل قوته وفي اسرع من
لمح البصر انفلتت العقدة بفعل الجذب القوي ونزل الدلو
الملي بالماء الذي سحبه معه وهوى الجميع الى
اعناق البئر ... ولم يع محسن الا وهو واقف في قاع
البئر السحيق وقد ابتلعت دياجير مدمية .. وشعر
بالماء البارد يغطي ركبتيه وبالجو الرطب المكثف يكاد
يفنخسه .. ولا يتذكر في تلك اللحظة الا صوته الضعيف
وهو يستنجد بابه وهو في شبه ذهل .. (يا ماما
.. يا ماما) .. ولكن لا يجيب .. وبشي الوقت بطيئا
.. متناظلا ... وكأنه يعيش كابوسا مرعبا .. ثم
اخذ يصل الى مسامحة شيء من الضوضاء واللغط
والجلبة اتيا من بعيد .. عند فوهة البئر التي يراها

في هذه الظلمات الدامسة ... ثم شعر بعد ذلك بحركة
غير عادية في اعلى البئر ... وادرك ان شخصا
ينزل اليه لانتزاعه .. ووصل الرجل اخيرا عنده ..
وطلب منه ان يعلو ظهره وان يتمسك جيدا بكتفيه ..
وساعده على ذلك ففعل ما طلب منه .. وعندما وثق
الرجل ان كل شيء على ما يرام اعطى اشارة للموجودين
في اعلى بانه الان مستعد للصعود مع الطفل .. وعندها
بدأت عملية الانقاذ الشاقة البطيئة المخوفة بالمخاطر ..
وشد الحبل الذي التفت تحت كتفي الرجل الى اعلى
وبدا الصعود ببطء ... وبحذر شديد .. فقد كانت
جوانب البئر الخجيرة ندية لمساء لا يركن اليها ..
ويصعب الانكساء عليها او التمسك بها .. وعند
مرحلة حرجة من الصعود .. وبعد ان قارب الرجل
المنتصف منتصف البئر في تسلقه الى اعلى شعر
محسن بان يديه بدأتا تضعفان وانها تكادان تفلتان
من كتفي الرجل في اي لحظة ... فاخذه الرعب من
السقوط .. وبحركة آلية سريعة تحولت يداه الى
عنق بنتذره وطوقناه بشدة وتمسكنا به تمسكه هو
بالحياة .. فبدا الضيق على الرجل وشعر بان
يدي الطفل تكادان تخنقانه وتعرقلان تقدمه الى اعلى ..
فطلب منه ان يزيع يديه من رقبته ويتمسك برأسه
.. فامتل الصغير لذلك .. ولكن .. ان صلعته
الصقيلة الممساء لا تؤمن .. وكادت يداه تنزلقسان
منها نهالة الخوف وتحولت يداه غريزيا الى رقبة الرجل
تحيطان بها وتنشبان بها .. ويبدو ان الرجل ادرك
ما يعانينه الطفل من خوف السقوط وانه لاصمدى له
الا ان يتصرف بالطريقة التي تصرف بها .. فلم يصر
كثيرا على طلبه وتحمل على مضض مضايقات الخفق
المؤقتة ونقل الصغير على ظهره حتى ينتهي من مهمته
ويتنم عملية الانقاذ ... ولا يدري محسن كم مضى
من الوقت قبل ان يصل الى فوهة البئر ولكنه كان في
تقديره طويلا .. مضنيا .. مخيفا .. وتلفتت

للعطف شمن

بعطف وقبلته .. واقبلت اختاه وقد بدا الحزن
عليها لما حل باخيها ... وحمدت الله على سلامته
... وجلس الكل حوله يسرون عنه ويلطفونه
ويحاولون ارضاءه ويسألونه عن رغباته ويلبونها ..
فداخله ارتياح كبير لهذا العطف المساجيء الذي
لم يتذوق طعمه من قبل .. واقبل اخيرا والده ..
وكان غائبا عن المنزل منذ حصول الحادث وائناء
عملية الانتعاش .. فساد الصمت .. وافتح له
المجلس .. قربت على كتفه بلطف وقد علت على وجهه
شبه ابتسامة وقال له وكأنه يواسيه ...

— ها محسن .. كيف حالك الان ؟

— زمن ..

ولم يزد والده شيئا الا ان هذه الكلمات القصيرة
المقتضبة بست شفاه قلبه .. وحركت مشاعره ..
وخفرت اثارها في ذاكرته .. فهي المرة الاولى في حياته
التي يبش له فيها والده ويسمعه كلاما وديا ويشعر
فيه بشيء من عطفه .. وهان عنده الحادث الذي
كاد يؤدي بحياته .. وهانت لديه الالام التي توخز
شفاه المتورمة ورأسه المشجوج واطرافه المرضوضة
... بل لقد تسمر في قرارته بالانتان لهذا الحادث ..
الم يمكنه آخر الامر من التخلص باهتمام والده وبعطفه
... واحسن لفك براحة نفسية عيقة وسعادة غامرة
حقيقية لا يعرفها الا الصغار المحرومون من اهتمام
والدهم وعطفه ...

(جنيف (سويسرا) — على زكريا الانصاري)

اقرأ

الرائد
المصادرة عن :

جمعية المعلمين الكويتية

الايدي الاثنين تخرجها سالمين من البئر .. وتوالت
كلمات الاطراء والاعجاب لابي سالم المنقذ للشهم
الشجاع الذي خاطر بحياته لاتقاذ الطفل .. واعد
في الحال غواش لحسن في الحوش فقد كان الفصل
صيفا .. ولاحظ انشغال الجميع به .. وقدمت
له الاسعافات لمعالجة شفته الدامية المتورمة وضمدت
الشجوج التي في رأسه .. وبالرغم من حالته
اليائسة فقد شعر بحسن بالسعادة لانه اصبح محط
الاهتمام والرعاية من الجميع .. الا انه عندما اخذ
يصفي الى حديث المجتبعين عن الحادث واجابهم
على مدى خطورته داخله شيء من الخوف .. فقد
توالت الاستفسارات : ماذا ياترى يمكن ان يحدث
لو انه سقط على رأسه في البئر واخفق بالآه ؟ ..
وبذا كان سيحدث لو ارتطم رأسه بجدار البئر .. وسرت
الناتئة الودية المنتشرة على جوانب البئر .. وسرت
في جسمه تشعيرية حينما زاد اخوه الكبير على ذلك
فقال :

— في الحقيقة اني اعلم ان هناك عمودا من الخشب
قائما في وسط البئر .. فلو كانت السقطة عليه ..
لاتشق جسمه شقين ...

وفزع الجميع من تصور المنظر ووصلت الى
مسامحه تبتائمهم المذعورة ...

— لا سبح الله

— يا سائر .. يا حفيظ ..

— يا لحظه السعيد .. الله حفظه

— الله راضي عليه

— كتبت له حياة جديدة

واخيرا اعذر الموجودون من الجيران والمعارف
من جاؤوا للمساعدة في الانتقاذ او المواساة
واخذوا ينصرفون .. وكررت كلمات الشكر والاطراء من
قبل ائساد العائلة لابي سالم الذي انتقذ صغيرهم
من كارثة مريعة .. وبعد ان خرج الجميع وخلا
الحوش من الغرباء اقبلت امه مضطربة باكية فاحتضنته

ألا بالعلم قد نهضت شعوب

شعر
محمد أحمد
المشاري



ألا بالعلم قد نهضت شعوب
ومنه قد جنت ثمرًا شهيا
فأضحى بأسها بأسًا شديدًا
وأصبح عيشها عيشًا رصيا
وان الله أعطى كل مصر
وكان عطاؤه جما سخيا
فما اختلفت مواردهم ولكن
تخلف بعضهم جهلا وعيا
فأضحى ذاك من علم ثريا
وأضحى ذاك من جهل شقيا
وأعجب من عجب العلم عقل
أشاد بفكره العلم الجليا
فكان ، ولا يزال ، وسوف يبقى
يسهل فكره الأمر العصيا
تساوى الناس في العقل امتلاكا
وفي استخدامهم ليسوا سويا
فإن أغلقت عقلك دون فكر
وعشت ولم تُقد بالعقل شيا
جهدت وكنت كالآلات ميتا
ولو أطلقت عقلك كنت حيا
كذاك الماء يأسر من ركود
ويصبح إن جرى عذبا نقيًا

محمد أحمد المشاري



موازين الشعر العربي باستعمال الأرقام الثنائية

عزّ الدكتور محمود محمد الحبيب
جامعة البصرة

تأليف الدكتور محمد طارق الكاتب

« في البصرة اليوم خليل جديد »

- مهندس مدي من البصرة يحل ما بدأه الخليل بن أحمد
- الحاسبة الالكترونية تدقق موازين الشعر

ويمكن حسابه بالحاسبة الالكترونية .

● الشعر ايقاع موسيقي وذو علاقة بالرياضيات :
نظرا لكون الشعر ايقاعا موسيقيا ، ولوجود علاقة وثيقة بين الرياضيات والموسيقى ، فقد آمن المؤلف انه من الممكن تمثيل موازين الشعر العربي بالرياضيات للتخلص من هذه الصعوبة التي جثت عليها وعلى علم العروض قرابة ١٢٠٠ سنة بحيث اصبحا عسيري الاستيعاب بصورة كاملة الا من فئة تتنوع باذن مرهفة لاصول الايقاع الشعري الموسيقى .. هذه المهمة الشاقة هي التي اراد المؤلف ان ينقلها .

● الفكرة الاساس في الدراسة :
الفكرة الاساس هي استخدام ما يدعى بـ « الارقام الثنائية » وهي طريقة وضعها الخليل نفسه ،

● مقدمة :
كان ذلك منذ عام حين حدث المؤلف الدكتور محمد طارق الكاتب اصداقاه بانّه سينجز عملا ادبيا سيكون له اثر كبير في ربط ماضي الشعر بحاضره ، واخضاع علم العروض العويص الى متطلبات التطور العلمي المعاصر ولغة الرياضيات بحيث يصبح تقطيع البيت ومعرفة وزنه وبحره وزجانه شيئا ميسورا لطلبة المدارس والكلية ، وذلك باستخدام جداول رياضية وضعها واستخدم فيها الارقام الثنائية لمعرفة البحور التي وضعها العالم البصري الخليل بن احمد منذ خمسة عشرة قرنا .

وظهر كتاب الكاتب فاذا به عمل كبير الاثر حقا جاء بنتائج اكبر . لقد ربط بين التراث المتد عبر القرون بمعطيات القرن العشرين ، واخرج علم العروض من جلبابه القديم ليتحدث بعلم الرياضيات ،

الارقام الثمانية : كتابة الكلمات في البيت الشعري حسب لفظها (حروف كل كلمة) ، ثم تبثيل الحرف المتحرك - كل حرف من الكلمة عليه ضمة او فتحة او كسرة - بالكمية « صفر » وتبثيل الحرف الساكن من الكلمة بالرقم « واحد » . وهذا ما فعله الخليل نفسه ولكن علماء العروض لم يقدروا عبقريته وهنسه ، فنصروا انه قصد بالحقلة « الجوقة » علامة السكون ، وعليه ابدلوا الحرف الساكن بالحقلة للجوقة (بينما هي صفر مكتوب بالارقام الهندية التي اخذها العرب ونقلوها الى اوربا) ، كما انهم ابدلوا تبثيل الحرف المتحرك فجعلوه « خط مائلا » يثايل علامة النصب ، بدلًا من الرقم واحد الذي عناه الخليل .. وهكذا ، كما يقول الدكتور الكاتب ، فقد اضاعوا فرصة الاستفادة من الارقام الثمانية ، بينما انكب هو على هذه الاستفادة . والدراسة التي طلع بها على القراء في دنيا العرب شاهد على نجاحه ، وانه ، كما قالت الشاعرة نازك الملائكة ، قام بعمل اصيل رائع لم يسبق ان قام بمثله اخر .

الأرقام الثمانية بنيت على استعمال رقمين لتسهيل أي عدد، وهما « الصفر » و « الواحد ». أما الأرقام العشرية فهي الأرقام التي نستعمل يومياً (صفر ، ١ ، ٢ ، ٣ ، إلى ١٠) . وإذا قابلنا بين الاثنين فالملاحظة تظهر كالآتي :

الثاني: . 1 10 11 100 101
11 111 1000 1001 1010
وقد رُكز المؤلف على ستة أرقام ثنائية تعتبر
الموازن الأساسية للشعر:

الوصف	الميزان بالأرقام الثنائية	الميزان بالأرقام العشرية
حرف متحرك	٠	٠
حرف ساكن	١	١
حرف متحرك فساكن	١٠	٢
حرفان متحركان فساكن	١٠٠	٤
ثلاثة احرف متحركة فساكن	١٠٠٠	٨
{ احرف متحركة فساكن	١٠٠٠٠	١٦

اما كيفية تطبيق الطريقة على الشعر لمعرفة
المحور الخليلية ، فلنأخذ بيتا لابي القيس :

يسقط اللوي بين الدخول محمول
تكتب حروف البيت بصورة منفصلة للصمد
والعجز ، وعلى اساس اللفظ اي بالكتابة العرضية،
وتوضع كل مجموعة من الالحرف المتحركة التي تنتمي
بحرف ساكن على حدة للسهولة ، فيكون البيت ونها
يقابل الحروف من ارقام ثنائية ، عشرية كالآتي :
قفا نبك من ذكرى حبي ومن زلي
١٠٠ ١٠ ١٠٠ ١٠ ١٠ ١٠٠ ١٠ ١٠٠
٤ ٢ ٢ ٤ ٢ ٤ ٢ ٤

لمعرفة البحر والاوزان الخليلية ، نحسب الحروف المتحركة (عدد الاصغار الموجودة) في صدر البيت وفي عجزه ، فنجد ان عددها ١٤ في الصدر و١٤ في العجز .
نرجع الان الى الجدول الخاص بعدد الاحرف المتحركة البالغة ١٤ حرفا (يدعى في سلسلة الجداول بجدول الحركات ١٤) وهي الرقبة (١٤/١.٢) و (١٤/٤.٣) على الصفحتين ١٤٩ - ١٥٠ من الكتاب ، ثم نبحث فيه عن تسلسل الارقام العشرية التي ينهاها وبخاصة وجود الارقام (٤٢٢) بالنسبة الى نهاية الصدر و (٤٨٤) بالنسبة الى نهاية العجز ، فنجد ان ذلك موجود في التسلسل (٣) من الجدول (١٤/١.٢) حيث نلاحظ :

ونجد تحت حقل البحر ونوعه انه من الطويل
 ذي العروض المتبوضة ، والضرب متبوض ، وان وزنه
 بمقاييل الخليل الاساسية ودون زحاف هو :
 فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل
 فعول مفاعيلن فعول مفاعل

أجابني المؤلف : « كان من الضروري ان اقدم الى تراء العروض النظرية الكاملة لاستعمال الارقام الثنائية في موازين الشعر العربي ،وتطلب ذلك الدخول في تفاصيل كثيرة . . ان هذا لا تأثير له ، فكلنا يحتاج اليه القساريء الذي يريد ان يزن بيتا ويعرف الزحافات المسحوق بها في بحر ما هو الجدال ذات العلاقة بالاحرف المتحركة » .

اذا تذكرنا ان هناك ٢٣ جدولا رئيسيا في الكتاب

قد وضعا المؤلف على أساس عدد الحركات في كل من صدر البيت وعجزه ، فهل من السهل الرجوع الى الجدول الصحيح لاستنتاج البحر الصحيح ؟
يشير المؤلف انه لو كان عدد الحروف المتحركة في صدر البيت ١٣ بالمقارنة مع ١٤ حرفا متحركا في عجز البيت ، وعليه فائنا نبحت عن الموازين في الجدول ذي الرقم الاعلى اي ١٤ ، واذا لم نجده نبحت في جدول اعلى اي ١٥ ، واذا تعذر ذلك فمعناه ان البيت ليس مشمولا باوزان الخليل بن احمد .

● الحاسبة الالكترونية تحقق الشعر

يرى الدكتور الكاتب ان الحاسبة الالكترونية يمكن استخدامها في موازين الشعر العربي ، فكيف يكون ذلك ؟ وما ابعاد الاستخدام ؟
يقول ان طريقة استعمال الحاسبة الالكترونية الرقمية يتم بوضع برامج كاملة (بروكرامك) للحاسبة بوجب جداول موازين الشعر العربي الموجودة في كتابه ، ثم توضع تعليمات للحاسبة للبحث عن انبساط التسلسلات المختلفة للحروف المتحركة والسكون ، وبعد ذلك يمكن معرفة ما اذا كان البيت موزونا ام لا على ضوء الجواب الذي تعطيه الحاسبة .. ويشير المؤلف انه جرب ذلك في الحاسبة الالكترونية الموجودة في مصلحة الموائمة العراقية في البصرة عندما دقت ثلاثة ابيات واجابت انها موزونة .
وعندما ابدل المؤلف ، عن عمد ، احد الابينات فقد رفضته الحاسبة وقالت ان البيت غير موزون .

ويعتقد المؤلف « ان استعمال الحاسبة مفيد عند دراسة عدد كبير من موازين الشعر ولإجراء دراسات مقارنة للعصور المختلفة ، اذ نستكشف خصائص الشعر العربي في هذه العصور ومدى استعمال الازان المختلفة ونسبها وعدد الزحافات التي يستعملها كل شاعر وخصائص هذه الزحافات وغيرها من الموضوعات التي تتطلب اجراء احصاءات طويلة ومعقدة في الموضوع » .

● هل ثمة تطبيقات أخرى للإرقام الثنائية ؟

يرى المؤلف ان الارقام الثنائية وما يعاقلها من الارقام العشرية اوضحت العلاقة بين بحور الخليل والافخس الاوسط مما جعل بالامكان وضع جدول سماه الكاتب « طيف البحور » ، ص ١٧٥ ، وكذلك « دائرة البحور » ص ١٧٦ حيث وجد طيف البحور ان الوزن المكون من التسلسل :

٤٢٤ ٢٢ ٤٢٤ ٢٢ ٤٢٤ ٢٢ ٤٢٤ ٢٢ ٤٢٤
... وهو وزن بحر الطويل وبالامكان اقتطاع اجزاء

منها لتمثيل اي بحر من البحور الخليلية . ويقول :
« لقد استندت من العلاقة الرياضية ان حاصل ضرب $(2 \times 4) = 8$ والتي تقابل في التفاعل تحويل التفعيلة (فاعلن) التي هي (٤٢) الى (فاعلن) التي تقابل (٨) اذا ما جرى عليها الخبن . وكذلك الحال عند تحويل $(2 \times 4) = 8$. وعلى ذلك يكون تسلسل بحر الطويل ، او ان نمط تسلسل الاحرف المتحركة والسكون الموجودة في الدائرة الاولى للخليل والمسماة بـ « دائرة المختل » يكون القاسم المشترك الاعظم لكافة البحور .

● ما اهمية ذلك ؟

يقول الكاتب : ان لهذا الاستنتاج اهمية « اكايدية » بالنسبة للعلاقة التي تربط البحور الخليلية . ويميزتها انها تظهر ان الازن العربية التي كانت قد اكتسبت الإيقاع الموسيقي الشعري منذ العصور القديمة ، وحتى قبل الخليل بكثير من ثلاثة قرون ، كانت لها قابلية غريبة في قبول نوع من الإيقاع يظهر انه مختلف ، بينها هو بالاساس واحد . وهناك ارتباط وثيق بين ما تقبله هذا الازن وما ترفضه .. وفي الوقت الذي قدم الخليل بن احمد خمس دوائر لتمثيل البحور الخليلية ، فاني تمكنت - اي المؤلف - بواسطة الارقام الثنائية من توحيد هذه الدوائر الخمس ، وجعلها دائرة واحدة بواسطة طيف البحور ، وباستعمال اوزان حقيقية للبحور مع قبول بعض الزحافات المسبوح بهنا تكون الدائرة العروضية الواحدة .

● ماذا عن الشعر في لغات أخرى ؟

بين الدكتور محمد طارق الكاتب امكانية استعمال الارقام الثنائية في ايجاد موازين الشعر باللغات الشرقية وخاصة الفارسية والتركية القديمة والكردية والاوردو وذلك بسبب تشابه طريقة كتابتها للغة العربية ، واستعمالهم اوزانا قريبة من الازان العربية . وقد اورد مثالين حول تطبيق الارقام الثنائية في وزن رباعيتين من رباعيات الخيام . اما بالنسبة للغات اللاتينية كالفرنسية والانكليزية فيقول بانه غير متمكن من اصول الشعر فيها ، ولم يبحث هذا الموضوع بصورة كافية .

● هل ان نظرية الكاتب دعم للشعر العمودي ؟

لا يعرف المؤلف لماذا استنتج البعض ان استعمال الارقام الثنائية دعم للشعر العربي الخليلي ، وانها ضربة للشعر الحر ، مع العلم ان استعمالها يشمل النونجيين : العمودي والحر . ان المؤلف ، ص ٢٠ ، يكتب « انني اعتبر الشعر الحر يمثل انطلاقة جديدة

.. ولست ارى الشاعر الاساذ مصطفى جمال الدين مغاليا حين كتب في مقدمة الكتاب « في البصرة اليوم خليل جديد » .

اني اتنبأ ان دراسة الدكتور الكاتب سيكون لها دوي كبير ، ان لم يكن في المستقبل القريب فانه سيجعل حتما في المدى البعيد ، شأنها في هذا شأن الكثير من الاعمال الادبية والعلمية التي اعطيت مكانتها بعد عشرات السنين من ظهورها . واني اتوسع ان طريقة الدكتور الكاتب ستبني جنبا الى جنب مع طريقة خليل ، ولربما اخذت الطليعة فالتطور سنة الحياة ، حتى في عالم عبقر ودنيا العروض . وللمؤلف الصديق تهنئي على هذا الفتح الكبير .

الدكتور محمود محمد الحبيب
جامعة البصرة

من أدباء الكويت

- شاعر ، واديب .
- فارسي الاصل ، ولد في الكويت عام ١٨٦٦ في اسرة فقيرة .
- دفعه تعاطشه للعلم الى تلقيه ، في اوقات فراغه ، على ايدي اصحابه ورفاقه فاستطاع ان يتقن نفسه بنفسه ، وان يشتري عدة الكتب اللغوية والادبية ، في اللغتين : العربية والفارسية ، وان ينكب عليها مستجليا خفاياها ودفائنها .
- خلف الشاعر آثارا كثيرة في الشعر والنثر ، ضاع معظمها ، وتربو على اربعين مؤلفا ، وقد وردت اسماؤها في مقدمة ديوانه المخطوط : (العرصات البديعة والطرانز اللبيمة) ولم يطبع منها سوى كتابه : (موعظة الرجال وبلغه الرجال) — بومبي ١٣٢٧ هـ .
- اوقف شعره على المديح ، الا ما ندر . وقد اتخذ من صناعته هذه طريقا لكسب عيشه .
- كذلك كان خطاطا ماهرا ، له في الخط اسلوب عجيب .

زين
العابد
بن حسن

بن باقر

١٨٦٦
١٩٥٠ م

فتحت ابوابا سيكون لها الاثر الكبير في تطور الشعر العربي ، واني اعتقد بان استعمال الارقام الثنائية في وزن هذا الشعر سيكون عاملا مساعدا في تطويره وفتح افاق واسعة لاوزان لم تستعمل بعد في هذا المجال .

● استنتاجات المؤلف

- ١ — يمكن تسهيل دراسة العروض واختصارها بتطبيق جداول موازين الشعر العربي المدرجة في كتابي والتي تجعل بإمكان اي شخص ذي ثقافة بسيطة من وزن الشعر العربي الخليلي في وقت قصير جدا ودون دراسة مسبقة للموضوع .
- ٢ — ان الشعر العربي والرياضيات والايقاع الموسيقي مرتبطون بشكل وثيق مع بعضهم .
- ٣ — هناك وزن واحد بالامكان اقتطاع اجزاء منه لتمثيل كافة بحور الشعر العربي الخليلي وهو ما مثلناه بـ « طيف البحور » و « دائرة العروض الواحدة » .
- ٤ — يمكننا استخدام الحاسبة الالكترونية في ايجاد موازين او بحور الشعر العربي .
- ٥ — يمكننا تطبيق الارقام الثنائية في ايجاد موازين الشعر باللغات الشرقية كالفارسية والتركية القديمة والكردية والاوردو .
- ٦ — امكانية تطبيق طريقة الارقام الثنائية لوزن الشعر الحر والشعر الذي صاغه المخدثون .
- ٧ — يمكن تمثيل التراث العربي المثل بخمسة عشر قرنا من الشعر العربي باحدث الوسائل الرياضية والعلمية المستعملة في القرن العشرين .
- ٨ — ان عبيد بن الابرس (صاحب المعلقة العاشرة في الشعر الجاهلي) قد استعمل طريقة خاصة به ، في وزن شعره ، ولم يتقبله ادباء العرب الاولون .
- ٩ — بالامكان تطوير علم العروض بشكل يماشى مع التطور الحضاري والعلمي لعالم القرن العشرين .

● كلمة اخيرة

رغم معرفة اصديقاء ومعارف الدكتور محمد طارق الكاتب بانّه ليس بشاعر وليس بعروفي ، وان هذه الدراسة التي قام بها تخرج عن نطاق تخصصه كمهندس مدني ، ولكن الكتاب الذي اتحف به قراء العربية ، يمثل عملا اصيلا اسم به المؤلف في اثراء ادبنا العربي ، وبنى جسرا قويا ربط بين جيلنا الحاضر وجيل خليل بن احمد الفراهيدي .. ابنان من ابناء البصرة اكلت ثانيهما ما بدأ به الاول واحكم الروابط بين معطيات القرن الثاني للهجرة وهذا القرن



الخط الأول

سلب الأشياء معانيها
صارت عدما
لم تعد الحرب باعينكم
وظما يفدى
أو شمعا هوجم فاستعدى
أو شرفا يسلم من دنس
بدم وفدا
صارت غوثا
وخلاصا من زهن ميت
جثته بين حناياكم
جافت فتنفستم زهدا
في نصر تنتظر موعود
ينساي بعدا
واشتدتم من بأس كسرا
يقتث الايام الموتى
فيكم وقدا
بحسب العمر بطولات
حتى لو ذنباكم اذى
يا جندا لا يحصى عدا
لستم جندا
ان لم تفنوا
فردا فردا

●●●
في العام السابع والستين
حين انكسر الجيش العنبرين



شعر

محمد
بروش
على

الطلق الثاني بعد الصمت القابع خلف تباب التار
طلق مضطر
رد للفعل الآثم من كف العدوان
رد خذيان
حتى لو أسقط ألف جناح
وهوى بالافق
رد خذيان
لو كان البادىء في اصرار نحو الفدر
لاتى بالنصر
حتى لو طاش

●●●

الطلق الاول بعد الصمت القابع خلف تباب التار
يأتى بالنصر

●●●

يا انتم يا جندا يتقلب فوق الجمر
بعدا للصبر
يقتات النفس اذا سئمت
يقتات العمر
فالله لكم
اتعبتم من صبركم الصبر
الله لكم
الله لكم
تحبون تنظركم ساما

قال الكهان

رهبان الفكر

فلاسفة الحرب الانتفاع

قالوا في غطرسة عبياء

وبلا استحياء

انسحب الجند

من خط النيران الاول

ليزدودوا في الخط الثاني

عن وطن ضاع

وانتظر الشعب

خط الاماذن بهاليل الحرب الاصقاع

وانتظر الشعب

وانهارت كل خطوط النار

الخط الاول والثاني والخط الالف

لو ان هناك خطا الف

لم يصمد في خط لدفاع

الا المذبذبة

فلاخر لفظ ظل يقاتل في حرب الايام الست

طوبى للصمت

طوبى للصمت

قتلتنا الانقضاء الجوفاء

تزييف القادة للانبياء

تباعل شجاع

اجبن من ارنبة جبل

ان لاح صراع

والويل لكم

والعمار لمصر

ولجيل يجرع سم العصر

ان حان الوعد

وتأذن وقت الثار وجد

والخط الاول مثل خطوط العام السابع والستين

تيه سنياء

وخطاكم فوق التيه هباء

في العام السادس والخمسين

في العام السابع والستين

الخصد سواء

والعلة قواد اقزام

شكروا الايام

بالجد بمصر بكل سموات الاحلام

باعوننا في سوق الانعام

الويل لهم

الويل لهم

●●●

يا اول صف

يا اخر صف

يا اشرف من رأت الدنيا

من جند الزحف

يا اثبت خطو نحو قلاع تشمخ في اجفان الضعف

تنهار ترابا في قلب لم يعرف خوف

يا مامل مصر

يا جند النصر

الخط الاول ليس خطوط الطول وليس خطوط العرض

تتلاقى في حد من ارض

تقفون بها

تجرون اليها او عنها

بالامر القرض

بقلوب لم تنبض يوما

يبقي نبض

والخط الاول ليس تراب

اليوم لكم

وغدا للقاهر ايا كان ولو مسكينا ضرب الله عليه الذل

وباء بفض

الخط الاول خط ثان خط الف

يساقط صف دون ثراء فينبض صف

يساقط اقداما وباتنا

لا قهقرة نحو الخلف

لو رد عن السدوران زمن

ينقلب من شجن لشجن

مبا ارنبة من الخط الاول

اجناد وطن

حملوه كمصر قداسات

انقلب لها

والعين سكن

ووعوه تراثا في دمهم

حيما ما استشرى فيه غفن

« ايزيس تلطم ايزوريس

حياة للوطن الخالد »

« آمون يبشر بالتوحيد

ايها الرب الواحد

فيعد على التاريخ يدا

لتصافح في عمق الصحراء

محدا الداعي بالصون لمصر كثانة ارض الله

ولشعب فيه الخير وعى الخط الاول »

« ربا وتراث

صبرا وفكاهة مبرور

حبا وعطاء واستخفاف

ورجاء في يوم واعد

بالزحف تأذن بالريات

بالعزة في مبعث قائد .

بحث حول المناهج التعليمية في الكويت



— في وزارة التربية بالكويت — يعجبنا ما فيها من عبارات جميلة مثقاة ، ومن آمال واسعة عريضة ، ومن احلام تداعب النفوس وكأنها سحر ينث في الامتدة روعة وبهاء فاذا ترجينا هذه العبارات الى عمل ، وهاتيك الكلمات الى واقع راينا الهوة السحيقة بين الامل المرتجى ، وبين الواقع البعيد عن تحقيق هذا الامل . فما هي مراحل (رياض الاطفال) تثبت فشلها عندما رفع منها المنهج التعليمي في العامين السابقين وكانت النتيجة هذا العام بعد ان دخل الطلاب القادمون من هذه المرحلة الى الابتدائية انهم جهة لا يعرفون ما عرفه زملاؤهم قبل عامين .

كان المنهج السابق ناجحا لما لمسناه في ابنائنا في تلك الفترة من تقدم ، فمثلا الطالب الذي دخل الرياض قبل عام ١٩٦٩ تمكن ان يذهب الى المرحلة الابتدائية دون ان يجد اية صعوبة ، لقد تعلم مبادئ العربية من حروف الهجاء وكتابة بعض الكلمات وحفظ مجموعة من سور القرآن الكريم . وكذلك عرف بعض الاعداد . اما هذا العام فقد استقبل مدرسو المرحلة الابتدائية طلبة من الرياض كل ما عرفوه في العامين السابقين للعب واللهو والاور المعتادة نحو الاكل واللعب وما الى ذلك .

في الوقت الذي استقبل المدرس طلبة من الرياض الخاصة يمكن ان يدخلوا الصف الثاني او الثالث الابتدائي لانهم ملون بمبادئ القراءة والكتابة . ثم تأتي

ان وزارة التربية ليست في حقيقة الامر مجرد وزارة ، وانما هي دولة متكاملة تحمل في اعماليها وزارات شتى ، ومصالح متعددة فالمثقف يلقي اولى بذور ثقافته في وزارة التربية ، وابنائنا الذين ترتقي على اكتافهم امثنا ووطننا ان هم الا غرس من غراسها ، وثمرة من ثمراتها وهي المؤسسة التي لها شأن في كل بيت وترتبط ارتباطا وثيقا بكل اسرة ففي كل صباح يخرج بعض افرادها الى مدارس ومعاهد هذه المؤسسة الكبيرة ويبقى بعضها الاخر مراقبا ومتابعيا التحصيل العلمي الذي يأتي به ابناؤه الاسرة . . لذا فان كل مواطن يشعر باهمية هذه الوزارة ويعلاقتها به .

يل ان وزارة التربية هي الطريق التي لا بد ان يمر منها المهندس الذي يعمر البلد والقانوني الذي يرسى دعائم العدل ، والمدرس الذي يربي الجيل ، والعالم الذي يصنع الحضارة الى اخر هؤلاء القادة الذين يحملون اعباء المسؤولية في المستقبل القريب ، او البعيد . ومن ثم كانت خطورة الدور الذي تقوم به وزارات التربية في مختلف بلاد العالم ، ومن ثم ايضا كان الاهتمام بالمناهج التي تضعها وزارات التربية وتجدد جنودها لتنفيذ اهداف هذه المناهج ، العام منها والخاص .

ويقدر مالي هذه المناهج من بذور طيبة ، بقدر ما نتوقعه من ثمار تؤتي اكلاها وتنتج تحقق غاياتها .

وعندما نلقي نظرة سريعة على المناهج التعليمية هنا

فيها من جبال » .

وهذا كلام جميل ، لو طبق تطبيقا عمليا ، واختيرت النصوص الأدبية بحيث تكون مدعاة لتذوقها والاحساس بجبالها ، ولكنه يؤسفني ان اقول : ان كثيرا من هذه المختارات اختيرت اعتباطا ، وبدون اناة او تهمل ، بل كان الدافع لها مجرد السرعة في التأليف ، فنجاعت بمسرة قاصرة مبتورة .. وقد تصفحت كل الكتب المقررة فازددت يقينا بهذا المعتقد والا ما معنى ان يحفظ التلميذ وهو في الصف الثالث الابتدائي هذا القول باعتباره شمرا ..

وها هنا ترى القصص

كالزهر حسنا في الاصمص

وفي نص اخر :

حتى تدب صحتي

في وثائ عليتي

ان كلمة « الاصمص » وكلمة « ثنائى » ثقيلتان حتى على طالب المتوسط ، ناهيك بتلميذ الصف الثالث الابتدائي .. فابن هنا العبارات التي تدعو للتذوق ؟ وابن هو الجبال الذي يحس ؟

ثم البيت هناك مئات القصائد والانشائد لشعراء عديدين حتى من الفحول كشوقي وغيره ، فيها من السائلة والروعة والجبال ما يغري بحفظها ، بسهولة ، ووزنا ومعنى ورقة وجبالا ؟ .. ثم هل كلفت الوزارة شاعرا محليا او كاتباً على مر هذه السنوات الطويلة للمشاركة في وضع المنهج ؟ .. اني اؤكد انه لو صدقت النية عند المؤلف او المؤلفين ، وتوخوا الهدف وبخثوا جادين لوجدوا ما هو خير كثيرا من هذه المختارات

كتبه
عبدالله
خلف



مندوب وزارة الاعلام للمؤتمر المحلي للمناهج الدراسية

الثقيلة المنغرة من التذوق الجبالي ، والداعية الى كراهية اللغة ، والاشتمارز منها .

وانا هنا اتكلم عن المرحلة الابتدائية التي لا يجاوز تلميذها العاشرة من عمره ، ومن هنا كان الاعتراض وكان النقد ، لان مثل هذه النصوص لو قررت على



الطامة الكبرى على هذا التلميذ المسكين الذي لم يتسرا في الرياض الحكومية حرفا واحدا ، ويكلف ان يحفظ من القرآن الكريم سبع عشرة سورة مع شرحها وان يتلو ثلاث عشرة سورة اخرى ، وهو في سن السادسة او دونها بقليل .

وتستطيع الوزارة ان تقارن بين من اقبل على الابتدائية من الرياض الحكومية والرياض الخاصة فتستجد الفرق شاسعا .

فاذا انتقلنا الى المرحلة الابتدائية التي هي اول الطريق الى آفاق العلم والمعرفة نجد لها اهدافا عامة واهدافا خاصة ، حددها المنهج وفكرها صراحة في صلبه .

ولست اريد تعقبا لكل هدف من هذه الاهداف ، وانما امر بسرعة على بعضها لتري مدى التطبيق الصحيح لتحقيق الامل التي تراود نفوس واضعي هذه الاهداف، والوجود الفعلي لها .

ولن اعرض للاهداف العامة ، بل سأقتصر على بعض الاهداف الخاصة ..

تقول المادة التاسعة ص ١٠ من المنهج من الاهداف الخاصة للمرحلة الابتدائية :

« ان هدف المنهج ان يتدرب - اي التلميذ - على تذوق النصوص الادبية ، ويتكون لديه الاحساس بها

الصف الرابع المتوسط او على بعض فصول الثانوي لما شعرنا بصعوبة ولكن على الصف الثالث الابتدائي ، ولتليذ في سن الثامنة فهذا ملفت للنظر ، ومثير للدهشة والفسرابة .

ويبدو ان هناك اسماء بعينها تمارس هذا التأليف احتكارا ، فهي بمرور الوقت وتوالي الاعوام تشعر بالاعلاس لكثرة ما كتفت او لكثرة ما اتحتت نفسها على عالم التأليف للكتب المدرسية .

ولست اريد ان اذكر اسماء بعينها ، وحسبي ان يلقي المسئولون في وزارة التربية نظرة على عناوين الكتب

المدرسية فترى هذه الاسماء التي تكرر مرة في عالم التأليف ومرة في عالم التعديل ومرة ثالثة على واجهات كتب ليست مادتها من تخصص هذه الاسماء ، وانها هو حب وضع الاكثسية على كتاب هنا واخر هناك في مراحل تعليمية مختلفة دون توزيع المسؤولية على اكبر عدد لتم الفائدة للصحة العامة لا للاحتكار الشخصي .

وليستر حديثنا عن النصوص الادبية وكيف تختار ، لنرى مدى التفكك وعدم وضع سياسة عامة تربط بين المناهج في المراحل المختلفة فهذا مثلا نص عنوانه (الشهيد) يقرر على الصف الثاني المتوسط ويطلع في كتابه ، ثم يطبع في كتاب نصوص الصف الثالث المتوسط ، ويقرر على الطلاب ايضا ، ثم هذا النص بعينه يطبع في كتاب نصوص الصف الاول الثانوي ويقرر على الطلاب كذلك .

وهذا نص اخر عنوانه .. « الى طفلة العالم » يدرس للصف الثالث المتوسط ثم يدرس في الصف الرابع الثانوي ، ويطبع في كلا الكتابين .. وهناك نص ثالث عنوانه (النهر المتجدد ليخايل نعيمة) من القريب ان يقرر على الصف الاول المتوسط ثم يقرر على الصف الرابع الثانوي هو بعينه وشحمه ولحمه .

اين اذن عملية التنسيق في اختيار النصوص ؟ واين الضابط لهذه المختارات البعثرة هنا وهناك ؟ وما دينا بصدد الكلام عن التذوق الجاهلي ، وعن وجوب تحبيب تلاميذنا في الادب العربي : شعره ونثره فماني اعرض على حضراتكم نصا مقررنا للشاعر الجاهلي الشنفرى لنرى نصيب الجبال الادبي في النص - وعلى الاقل لستوى طالب غير متخصص ، وفي الصف الثاني الثانوي .

يقول النص :

واني كفاني فقد من ليس جازيا

بحسنى ، ولا في قربه متعلل

ثلاثة اصحاب ، فؤاد مشيع

وابيض اصليت ، وصفراء عيطل

اذا الامعز الصوان لاقى مناسمي

تطابير منه قاذح ومغلل

وليلة نحس يصطلي القوس ربا

واقطعه اللاني بها يتبسل

دعست على غطشي وبغشي وصحبتني

سعار ، وارزیز ، ووجر ، وافكل

وفي ختامها :

ويركذن بالأصـال حولي كائني

من المعصم ادفي يفتحي الكبح اعقل

ولا يقول احد : ان الطالب ينبغي ان يلم بلغة العصر الجاهلي ، فليست لغة العصر الجاهلي كلها الفاظا صخرية او عبارات حجرية ، فهناك نصوص جاهلية تعطينا صورة واضحة لهذا العصر دون ان توغل في هذه الالفاظ الغريبة ، او تتعمق هذه التراكيب الصعبة . وليس المجال هنا مجالا لعرض هذه النصوص ، ولكن ابدنا الجاهلي مفهم بها ولا شك .

ثم ملاحظة رابعة عن النصوص الادبية وهي عدم تكليف بعض مؤلفي هذه الكتب انفسهم مراعاة الامانة العلمية . فها هي نصوص نجدها في كتاب الادب والنصوص للصف الرابع الثانوي ثم نجدها بتعليقاتنا وشرحنا خرفا في كتاب خارجي مطبوع في القاهرة وتحت يدي نسخة من هذا الكتاب ، واني على استعداد لتقديمه للمسؤولين مع الاشارة الى الصفحات التي نقلت منها هذه التعليقات والشرح بالحرف وبالنص في الكتاب المدرسي المقرر هنا .

ثم ماذا في كتب القراءة ؟

انها منتولة من كتب قراءة قديمة ، وما على المؤلف الا ان يجع مقالنا من هنا وكلية من هناك سبق ان استهلكها في كتب مدرسية قديمة ، ثم يضعها جميعا بين دفعتي كتاب بصوم باسمه ، وموقع بتأليفه . واذا بدانا الكلام عن القراءة من اول السلم التعليمي ، رأينا بعض كتب القراءة في المرحلة الابتدائية في حاجة ماسة الى اعادة نظر .

فكتاب الصف الثاني الابتدائي اطول من طاقته التلايذ ، ولذا فانه تلبا بكل المعلم الكتاب ، فاذا انتقل الطالب الى الصف الثالث كانت الفجوة واسعة بين ما اخذه في عايمه السابقين وما سياخذه في عايمه الثالث ، ولم تراعه هذه الملاحظة في تأليف الكتاب (السنة الثالثة) . وهناك ملاحظة عابرة وهي وجود بعض صور قسي

كتب مقررة لآلات نستخدمها كالسيارات وغيرها ، ولكن بعض هذه الصور الفوتوغرافية يمثل دعاية معينة لبعض الآلات عن دون قصد فيها اعتقد ، ولكن هذا لا يجوز في كتاب مدرسي له مكانته وقيمتها .. والصحيح هو ان ترسم الاشياء المقصودة بطرق تعبيرية دون ابراز المراكات التجارية .

فاذا انتقلنا الى المرحلة المتوسطة رأينا المسألة في تأليف كتب القراءة روتينية بحتة دون جهد يذكر .

ولا تقتصر على مثال واحد . ففي ص ١٦ من كتاب المطالعة المقرر على الصف الثالث المتوسط والطبوع سنة ١٩٦٩ نجد موضوعا عنوانه (قصة التعليم في الكويت) يتحدث عن التطور التعليمي الحديث في بلدنا العزيز .. ثم يقول الموضوع بعد استعراض النهضة التعليمية في الكويت : « ولن يقف الامر عند هذا الحد فمعاً قريب ستفتتح الجامعة الكويتية وسيستغنى الطلاب عن السفر الى الخارج لتلقي العلوم العليا » . ونلاحظ ان هذا الكلام في طبعة سنة ١٩٦٩ اي ان المؤلفين نقلوا هذه المعلومات كما قالوا في هياش الصفحة من كتاب « تاريخ الكويت » للاستاذ عبد العزيز الرشيد مجرد نقل ، دون اعمال اي فكر ، والا فهل يعقل انه في سنة ١٩٦٩ لم تكن الجامعة قد فتحت ابوابها بعند ؟

هذا مجرد نموذج ، ومن امثاله كثير . ثم كتب النحو ، وما ادراك ما كتب النحو ؟ انها مؤلفات كرهت ابنائنا في هذه المادة ، وخلقت في نفوسهم انطباعا بان النحو حيوان شرس ينبغي الابتعاد عنه لان غيره من المواد كتميل بالانجاح ، فلا عليهم اذا اعرضوا عنه وطرحوه وراءهم ظهريا .

وان الحقق للتأليف النحوية في المراحل المختلفة بدارسنا .. يجد تخبيا ، يعترف به رجال اللغة العربية انفسهم ، بديل هذه التغييرات المتواليه في هذه الكتب .

ثم نفس توزيع موضوعات القواعد لم تراع فيها قدرات الصفوف المختلفة ، فموضوعات القواعد في الصف الثالث المتوسط اشد صعوبة ، واكثر عددا من موضوعات الصف الرابع ، ولا ادري حكمة ذلك واذا كانت دراسة القواعد كما يقول المنهج بالحرف الواحد « ليست غاية مقصورة لذاتها ولكنها وسيلة الى اقدار الطالب على استعمال لغته العربية استعمالا صحيحا ناجحا في التحدث وفي القراءة والكتابة » اذا كان الامر كذلك فهل توخت التأليف النحوية في مدارسنا هذه الغاية ؟

ان ايامي عشرات الموضوعات المقررة على المراحل

المختلفة وقد عولجت علاجاً ابعدا عن هذه الغاية . ولا تنصير على امثلة قليلة :

فهذا باب المبتدا والخبر في الصف الثالث الثانوي يتحدث عن حالات حذف المبتدا وجوبا وحذف الخبر وجوبا ، ويعدد هذه الحالات ، ليحفظها الطالب حفظا آليا دون ان يستعملها في واقعه اللغوي ، ودون ان يهده له الطريق لاستعمال لغته العربية استعمالا صحيحا بعيدا عن الخطأ كما في نص المنهج .. والا ما علاقة ان يحفظ الطالب ان المبتدا يحذف وجوبا في اربع حالات هي كذا ، وان الخبر يحذف وجوبا في اربع حالات اخرى منها الحالة التالية اذكرها كدليل على عمق هذه المؤلفات : (يحذف الخبر وجوبا اذا اغنت عن الخبر حالا لا تصلح ان تكون خبرا ، ويكون المبتدا في هذه الحالة مصدرا مضائفا لفاعله او اسم تفضيل مضافا الى مصدر) .

ماذا يفهم الطالب من حفظه لهذه القاعدة ، ولو افترضنا انه فهم ، وحفظ مثالا او مثالين عليها فانه لا يستعملها في لغته ، ولو فرض واستعملها فان كل ما حصله هو معرفته لاعراب هذا المثال وان فيه خبرا قد حذف وجوبا .. اما ان تعصم هذه القاعدة لسانه عن الوقوع في الخطأ — وهذا ما يحرص عليه المنهج — فذلك بعيد كل البعد .

ان امثال هذه القواعد لا تدرس لغفر المتخصصين ، اما طلاب الثانوي والمتوسط فيجب ان يكون النحو ذا وظيفة عملية هي تقويم اللسان وعصبة الاسلوب من اللحن والخطأ ولا يتحقق ذلك الا بمؤلفات فيها اناة وتريث ، وعمل جاد مصمم على تحقيق هذه الغاية .

ويأتي الحديث عن التربية الدينية ، وللتربية الدينية مكانة في قلوبنا تفوق كل مكانة فالطالب الذي ينشأ على مبادئ دينه القويم ويشبع بالمثل الاسلامية العظيمة ، يكون دون شك بذرة صالحة ، ودعابة قوية في وطنه . فهل حقق منهج التربية الدينية تلك الغاية ؟ انني اقول : ان المنهج عني بالشكل واهتم بالقشرة ، ولم يركز على اللب ، وكأنه لم يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الثمن لا ارضا قطع ، ولا ظهرا ابقى » .

لقد حرص المنهج الذي طبع هذا العام على الحشو والالية ، والمظهر ، والشكل ، واهمل الروح والغلبة من تدريس الدين في مدارسنا ، وساقروا على حضراتكم سريريا النصوص القرآنية المقررة على المرحلة الابتدائية فقط :

في الصف الاول حفظ الفاتحة ، الناس ، الفلق ، الاخلاص ، المسد ، النمر ، الكوثر ، الماعون ، تريض ، الفيل ، العصر ، التكاثر ، القارعة ، الزلزلة ، التين .



بحث حول المناهج التعليمية في الكويت

مع شرح هذه السور واستماع وترديد السور التالية :
الكافرون ، الهزة ، العاديات ، البينة ، الملق ، الضحى ،
الليل ، الشمس ، البلد ، الفجر ، الغاشية ، الأعلى .
في الصف الثاني : يحفظ التلايد : الكافرون ، الهزة ،
العاديات ، البينة ، الملق ، الضحى ، الليل ، الشمس ،
البلد ، الفجر ، الغاشية ، الأعلى . . ويستعملون
ويرددون من اول سورة الطارق الى آخر سورة
التكوير . .

وفي الصف الثالث يحفظون النصف الثاني من جزء
عم . . ويتلون الجزء التاسع والعشرين ونصف الجزء
الثامن والعشرين ، وفي الصف الرابع يحفظون سورة
المرسلات والانسان والقيامة والذخر والمزل . . ويتلون
النصف الاخير من الجزء الثامن والعشرين وكل الجزء
السابع والعشرين .

هذا بالإضافة الى الفروع الاخرى من التربية الدينية
كالمعائد والمبادات والسير والتهديب . .

وقد ذهب الكثيرون من اولياء الامور الى المسؤولين
عن التربية الاسلامية في الوزارة يشكون صعوبة المنهج
فكان الرد عجيبا مثيرا للدهشة . لقد قالوا : ان هذا
المنهج وضع وكانت الخطة ان يكون نصيب الدين ست
حصص في الاسبوع ولكنها اصيبت اربع حصص .

وهذا غريب حقا ، لانه اذا وضع منهج لست حصص
ثم اقتصر لاربع فينبغي ان يختزل المنهج الى نفس
النسبة اي الى الثلاثين . وهذا لم يحدث . ولا ادري
حكمة لهذا الاصرار على الخطا والتسك به . . من رايي
ان تكون العناية بالسلوك العلمي للتلايد ، وبالمادة
المسوقة السهلة المحببة ، هي الوسيلة لتحبيب ابنائنا

في الدين . . وما من بيت الا ويشكو من صعوبة هذا
المنهج ، ويجار بالسخط ، لا كراهية في الدين ، ولكن
تسكا بالدين ، وجبا فيه ، فمراعاة الظروف النفسية
للطلاب ، وقدرات الطاقة يجب ان يكون لها اعتبار .

واذا كنت قد اطلت القول في مجال تخصصي وهو
اللغة العربية التي اعتر بها ، وفي مجال التربية
الاسلامية التي تنميك بها فهناك ايضا صعوبات قائمة
في مناهج « العلوم » فالاساتذة انفسهم — وقد سألت
بعضهم — يشكون من صعوبة مادة الكيمياء في الصفين
الثالث والرابع الثانوي وبمقارنة بسيطة بين ما يدرس
هنا في الكويت وما يدرس في بعض البلاد العربية الاخرى
في نفس المستوى كالجمهورية العربية السورية وجمهورية
مصر العربية نرى الفارق بعيدا وواضحا . وكذلك الامر
في علوم الطبيعة ، والاحياء وبقية المواد العلمية البحتة
. . وقد طالعنا الصحف ببحوث لاساتذة متخصصين في
المواد العلمية تناولت الصعوبات والخطاء التي حفلت بها
الكتب المقررة ، والتي تستوجب اعادة النظر ، واقتامة
البناء على اساس جديد وسليم ومثان ، وخال من
الاغترارات الا المصلحة العامة والمصلحة العامة فقط .
ومن الملاحظ كذلك هبوط مستوى تعليم اللغات في
مدارسنا عما كان عليه ، فهذه الطرق المستوردة من
الخارج لا ينبغي ان نعتبرها القول الفصل في مناهجنا ،
فلدينا طبعنا وطرفونا وبيئتنا وقدراتنا التي ينبغي الا
نغفلها ، وقد سمعت شكواي كثيرة من اساتذة اللغة
الانجليزية من هذه الطرق الحديثة وهم اولى الناس
بسماع اقوالهم ، لانهم يعيشون في الميدان ويمارسون
الطريقة عمليا لا من وراء المكاتب او من خلال الاراء
النظرية .

ان المناهج في وزارة التربية ينبغي ان تعالج علاج
جذريا ، ومن الاعماق ، ويجب الا يحتكر تأليفها نفر
قليل تتراكم عليها اعباء التأليف فيقدمون مادة غير
مهمومة ، ومثارا غير ناضجة ثم عن سطحية وعجلة
وتسرع واني اضع هذه المقترحات امام حضراتكم :

١ — اعطاء بعض التعليم المبسط في رياض الاطفال .
٢ — اعادة النظر في منهج التربية الدينية وبخاصة
الحفظ ، ومراعاة القدرات والظروف النفسية
للتلاميذ .

٣ — الاهتمام باختيار النصوص الملائمة المتدرجة في
اختيارها عن طريق مؤلفين لديهم تذوق ويستحسن
ان يكونوا من يمارسون نظم الشعر .
ولا بأس من اشراك بعض المثقفين من غير رجال
التعليم مع المتخصصين من رجال التعليم ليكون
العمل متكاملًا .

مسابقة حول الدراسات القرآنية والحديثية

سبق للكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي اعلمته
عن تنظيم مسابقات سنوية في موضوعات تتعلق باختصاص المكتب،
توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع
المسابقة الاولى (وقد ينأها المغرب) تقديم مخطوط غيبس بمسمى
الشرح والتعليق او بحث جديد حول اللغة العربية وكانت الجائزة
الثانية (بعد ان احتفظ بالجائزة الاولى) من نصيب استاذ من
الجمهورية العراقية والثالثة والرابعة من نصيب استاذين من الجمهورية
العربية المتحدة .

اما موضوع المسابقة الثانية لسنة ٧٦-٧٧ فقد كان على
قرار المسابقة الاولى وقد انتهت دولة الكويت الشقيقة وشرع المكتب
في الاعلان عنها منذ فاصلح أكتوبر .
ولقد قرر المكتب نظرا للاهمية تنظيم مسابقة ثقلة لسنة
١٩٧٢ - ١٩٧٣ ، فنقلت الملكة العربية السعودية الشقيقة بشروطها
ببيلع عشرة آلاف درهم - أي ما يعادل ٢٠٠٠ دولار امريكي كسابقتها
لقضية تبة الجوائز الاربع التي ستنتج للجائز الفائزة وستكون
في موضوع (وضع مجمل حول الدراسات القرآنية والحديثية) وفقا
لرغبة وزارة المعارف للملكة العربية السعودية التي اتفق المكتب الدائم
بمها على ما يلي :

١ - وضع مجمل يدرس لكل ما ألف في الدراسات القرآنية
والحديثية المطبوع بها والمخطوط يتناول ما يلي :
١ - اسم الكتاب وموضوع التعريف الاجمالي له الذي ييسره
عن غيره ولا يزيد ما يكتب في التعريف بالكتاب (دون اسم الكاتب)
على اثنتي عشرة كلمة .

ب - بيان آخر طباعته اذا كان مطبوعا .. تعيين المكان
والزمن .

ج - بيان المخطوط منه ان لم يكن قد طبع بعد .. تعيين المكان
والرسم والمصدر الذي ورد فيه ذكر المخطوط مع ذكر نسسخ
المخطوط الاخرى ان وجدت .

د - اسم المؤلف وسنة وفاته فان تطر معرفة سنة الوفاة
بالفترة الزمنية التي مات فيها .

هـ - وضع مجمل التباين ملخص للمصطلحات العلمية الواردة
في كتاب منها .. يختاره الحق مع ترجمة المعجم الى احدى
اللغتين الانجليزية او الفرنسية .

٢ - ان لا تقل الدراسة من مائة وخمسين صفحة ١٥٠ من
المجم المتوسط ولا يدخل في هذا العدد المجم الاتينيائي المذكور في (هـ) .

٣ - يجوز اشراك اكثر من شخص في المعجم الواحد وفي هذه
الصفة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين ..

٤ - يرسل البحث في (تسعين) الى مقر المكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الوطن العربي ٨ شارع الانتيل من ب (٢٢٠) الرباط -
المغرب .

٥ - تتالف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من اعضاء فخازم
وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية .

٦ - تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من تاريخ ١ اغسطس ١٩٧٢ الى
تسليم يناير ١٩٧٣ .

٧ - اعتبار المنهج هو الفيصل في عملية التأليف فلا يدعو
رأى المنهج لمراعاة الذوق الادبي في النص ثم ثاني
بمفصوص منفردة .

٨ - اعطاء فرصة كافية للتأليف بحيث لا تقل عن ثمانية
اشهر كما يحدث في البلاد الاخرى والتخطيط لذلك
لعدة سنوات مقبلة .

٩ - لا يشترك اسم الا في كتاب او كتابين على الاكثر
وفي مجال تخصصه حتى يأتي العمل متقنا ولا يتسم
بسمة النفعية ومجرد الشهرة .

١٠ - تأليف لجنة في كل مادة مهمتها التنسيق بحيث لا تتكرر
نصوص في عدة صفوف واحيانا في مرحلة واحدة،
وكان لغتنا قد عثمت الا من هذه النصوص .

١١ - الدقة المتناهية في التأليف ، وحرمان كل مؤلف من
ممارسة تأليف الكتب المدرسية اذا اتخذ المسألة
عملا آليا دون اهتمام او بحث جاد فيها يؤلف .

١٢ - تجنب الاخطاء المطبعية في الكتب المدرسية ،
وتخصيص لجان لمراجعة المطبوعات وتصحيحها،
وحرمان المهاترين في التصحيح من مكافآتهم .

١٣ - التأكيد على الامانة العلمية في التأليف بحيث يشير
كل مؤلف الى المصادر والمراجع التي رجع اليها،
واعتمد عليها في مؤلفه .

١٤ - تغيير كتب النحو من اساسها ، ومراعاة البساطة
والغاية من القواعد ، بحيث تكون وسيلة لتلافي
الاطياء وتقويم اللسان ، لا مجرد قواعد تحفظ
آليا دون نفع او فائدة .

١٥ - الاهتمام الجدي بمعرفة آراء المدرسين فهم الذين
يمشون في الميدان ويضعون ايديهم على الحقائق
المبوسة ، ووضع آرائهم موضع الاعتبار .

١٦ - تشكيل لجنة من المدرسين والمدرسين الاوائل
للغة الانجليزية لبحث الصعوبات في تدريس
اللغات الاجنبية ، ووضع الحلول المناسبة ،
والتحلي بالشجاعة ازاء التغيير المناسب اذا
ظهرت اخطاء .

١٧ - الاتجاه في التأليف الى ما يحقق الفائدة من اقرب
طريق ، لان الكتاب المدرسي ليس استعراضا
للمفصلات او اظهارا لما لدى المؤلفين من
معلومات ومعارف بقدر ما هو تيسيط للمادة
وتمشيا مع عقلية التلميذ في المراحل المختلفة
وفق نموه وامكانياته .

١٨ - والله اسأل ان يوفق القائمين على شئون التعليم
الى ما فيه الخير والصواب وهو ولي التوفيق
ومنه العون والسداد ..

الخمسينات ، وكان للأحداث الجسيمة التي جرت على الوطن العربي اشواكها اثر حاسم في بلورة حياتنا كلها وصياغتها من جديد .. وعلى الاخص في مجال الادب والفكر . و « الكابوس » هضم لكل المعطيات التجديدية التي ارضعت القصة والرواية العربية المعاصرة .. ورفدتها ، كما انها ارهاس لآلام الانسان العربي الذي دهته الخطوب .. وهو يحل عقد تخلفه عقدة بعد عقدة .



مع أمين شنار
في روايته

«الكابوس»

صياغة جديدة لمضمون قديم ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بقلم

حماد الزريد



لم اقرأ لأمين شنار مؤلف هذه الرواية قبلها . ولكن روايته هذه فازت بجائزة ملحق « النهار » للرواية العربية عام ١٩٦٧م وبصراحة اعترف اني اشتريتها لان اسمها اعجبني ! .. اما الفكرة فلم تستثني — لانها مطروقة — ولم اكن اعلم مسبقا ان صياغة هذه الفكرة المطروقة ستكون بهذه الروعة ! والرواية قصيرة .. اذ تقع في حوالي تسعين صفحة من الحجم المتوسط وصدرت عام ١٩٦٩ م عن دار النهار ببيروت ومؤلفها فلسطيني اما فكرتها فتعالج قضية اغتصاب فلسطين العربية — الزمنة — وتدور حوادثها في الفترة الحاسمة التي مهدت للاغتصاب .

لكن الذي يدعو الى الاعجاب بالرواية والكاتب — حقا — هو صياغتها الفنية العالية .. فقد صباها المؤلف في قالب رمزي لا غموض فيه ولا ابهام .. وفصل لها ثوبا عصريا هو اخر تجديد في ازياء الرواية المعاصرة .. بالإضافة الى اسلوب قصصي اصيل تنسجم اصائله مع المحتوى الجديد .. ولا تلوكه عجمة بعض الكتاب المتطرفين في كتابة اسلوب مترجم فجح .. يخلو من روح اصالتنا وقوميتنا .. ويكون كالسزاد الحسن الذي بلا ملح ! وقد استناع المؤلف .. ان يعلو بالرمز علوا معقولا يستطيع معه حتى

الاستفاقة كان نصيب الاسد ، فبعثت كتبه نشرًا وتحقيقًا .. وصيغت بعض مواضيعها القديمة صياغة جديدة ، وظهر الشمر الحر .. بتجديده للقصيدة شكلا ومضمونا .. اطسارا وفلسفة . واستبر في طريقه يتخطى المثرات بصلاية وعناد ... حتى اثبت وجوده وآتى اكله .

ومثل ذلك تطورت القصة والرواية .. واستندنا من الادب المترجم فائدة جلى في تلقيح ادبنا وفكرنا الجديد ، ادب وفكر ما بعد

الحياة العربية اخذت مظهر التجدد والعصرية .. بعد ان نفضت عنها غبار القرون .. وبعد ان افل في الخمسينات نجم الاستعمار وبزغت تبشير صبح الاستقلال .. وبدأ الرخاء الاقتصادي والتقدم الاجتماعي يعم انحاء الوطن الكبير ، ويحرق في طريقه هشيم الفاقة والتخلف ، وتحقق في مدى ربع قرن ما لم يتحقق لدى امم اخرى في عدة قرون . والادب اعظم انماط حياتنا العربية .. مسه ما مسها من تطور وانفتاح .. بل ان نصيبه من تلك

متوسط الثقافة ان يطايريه ..
ويشاركه نزهة التحليق مع شخصيات
ممتعة أنيط بكل منها دور مناسب
في جو صاف من النقد الذاتي ..
الواقعي معها في البشر من متناقضات
عاطفية وقصور او تضجوع عقلي .

فالشيوخ « نجم » والشيوخ
الكبير الذي يسكن القصر المنفرد
المكسو بالرميد الاحمر في القرية
المتناثرة الاكواخ .. رمان للشعب
والوطن الذبيح .. اما « الخواجا
موسى » فهو رمز للمحتل الصهيوني

الذي اتى للقرية الوادعة وراء جبل
البخور باثنا متجولا نجح في عمله
— المتواضع — رغم مقاطعة اهل
القرية لبضاعته .. حتى استطاع
ان يكون هو وابناؤه ، السيد
المطاع في القصر ثم في القرية كلها ..
وان يحققوا آمالهم في النهاية بهدم
الجبل الذي يفصل القرية عن العالم
.. اي الغاء استقلال الوطن العربي
الفلسطيني واذابته في مستنقع من
المهاجرين اليهود ذوي الوجوه الصفراء

الشاحبة .. والعيون الزرقاء
الصيدية ..

— ان موسى يريد القرية كلها ،
ويريد البيت الكبير بالذات . هكذا
كتب جيت « فرحات » في مذكراته التي
اودعت في صندوق حديدي يكسوه
الصدأ ..

ويصاب بطل القصة « فرحات »
بمرض البشر ، النفاق ، الخيانة ،
الخوف .. فيعمل خفرا تحت امرة
« الخواجا موسى .. المتكبر في
القصر الكبير .. ويستأبد على
مواطنيه ، ولكن لفترة محدودة من
الزمن .

وصرخت باعلى صوتي وانبا
احرق زبائن القهي بنظراتي :

— انا الخفيرفرحات محموددرويش
اعمل تحت ابرة الخواجا رئيس
الخفراء الذي يطاكم جيعا بتعليه ،
وتعلاي من تعليه ، فقدمي على
جباهكم .. افعلوا شيئا يا عبيد

الخواجات .. ارفعوا رؤوسكم
يا بقمر ..

ولكن فرحات بعد مدة يعود
الى حقيقته .. ويطبق عليه كابوس
رهيب يعذب فيه ضميره حين
شك في انه قاتل الشيخ الكبير بخنجره
الذي اعطاه اياه الخواجات يوم كان
يعمل عندهم خفرا — وهذا رمز
على المعالة لليهود .

ويقول له كبير الخفراء في احد
المواقف :

— اسمع يا حبيبي ، الجميع في
تريتمك يتحدثون — هذا صحيح .
لكن ليس جميع المتحدثين سواء ،
منهم من يتحدث لمجرد التسلية او
الظواهر ، ومنهم من يتحدث الى
صاحبه ليجر رجله ويسلمه الينا ،
ومنهم من هو ابن ابيه وجدته مثلك !
وهذا وحده هو الخطر .. اهكذا هو
الجريبة والعقاب . ابش ؟؟

وفي نقد واقعي — للذات —

يقول الكاتب في موقف اخر على لسان
كبير الخفراء اليهودي :

— هكذا انتم .. جبهة من خفا ،
ومزاج من فار .. من الخبيثين يتلهفون
رؤوسكم ، ومن كرهتم لمتنبوه ..
رؤوسكم في السحاب . واقدامكم في
الطين ؟؟

واقول — نعم نحن كذلك —

مع الاسف — ولعه مرض نفسي
منه حين يريد الله لنا الشفاء ، وحين
نريده بوحي من وعينا وارادتنا .
وتنتهي هذه الرواية — الممتعة المحزنة



بشكل جديد — بانهدام الجبل بين
القرية والعالم الواسع وراءها ...
اي بضياح الاستقلال واغراق الغرباء
للوطن ، ودعواهم — الساذجة —
ان عزلة التخلف .. انتهت باحتلالهم
وشمس التقدم والانفتاح سلطت على
ايديهم — المظلة بدمائنا .

— ونظرت . كانت القرية تحت
اقدامنا ركابا من الحجارة والادمين
كانت جرحا مفتوحا بلا جدران .
الجبل الاسود العتيق قد انهار ومن
ورائه كانت تمتد آفاق لا تحد ، تبدو
فيها حياة ناشطة .

— اعدنا نتدلق كل قذارات العالم
في وادينا الطيب ؟

فقال : ابدأ ليست قذارات .
انها اللحظات التي لم نعيشها تجملت
فكانت غزوا ، سنعيش عبرنا
طائعين او مرغمين . — وهذا رمز
خفي على الانتماعامين السطحيين ..
الراضين بالواقع —

ماذا يعني ؟ لقد كان لديه وقت
للتأمل . حبلقت في وجهه بتساؤل
فأرأف : يا فرحات . كم عالم يد هذا
اليوم في عرك ؟ الا تحصن انك منذ
الآن بدأت تحيا .. ترى بكل عينيك
.. تسمع بكل اذنك .. تنففس
بكل خلاياك ؟ يا فرحات . هذا الذي
حدث كان شيئا لا بد منه . كان صرخة
استغاثة من شيخنا الكبير الذي
هجرنا .. قريتنا الحبيبة الوادعة
في حضن الجبل كان لا بد ان تموت
لتبعث ؟

— مجنون لقد اختل ميزانك
ها، ها !

وتحرك ودخل — المقام — وفي
قلبي تولد اغنية حزينة ..

وبعد ، فان « الكابوس »
صياغة جديدة ليس للرواية العربية
في حقبة السبعينات بل للقضية الكبرى
— المصرية — التي ملأنا سردها
الاعلامي وتجرعنا غصصها — ولا
نزال — نحن جيل حزينان .

السعودية — حمد الزيد

سكاري ..

والقسرة ذات النافذتين ، كان
يشاركه بها أخوه الأكبر الذي كان
لا يعود من عمله — أو ربما من
لهوه — إلا في أواسط الليل أو أواخره .
لذا ، كان يخلو بها إلى نفسه ، وسط
بحر الضوضاء ذلك .. متشبها
بعزلة يتنهاها كلما عاد من معترك
الناس .. متعللا بأية تعلقة تصرغه
عن هموم أخوته الموزعين على
الغرفتين الباقيتين من غرف البيت
الثلاث . أما والده ، فقد كان لديهما
من الهموم ما يكفي لإبعادهما عن
دنياه ..

وما كانت دنياه سوى معارك من
خيال ، يرتقاها بهحض وعيه وأرادته،
كل لحظة من لحظات وجوده ..
بينما كان وجوده بين عجائب الخلق
أولئك ، الزاحفين حوله ، أشبه بعبور
طيف شفاف الرؤى ، بين أكدار من
الحواجز كثيفة متداخلة .

في ذلك النهار البعيد — وهو
القريب القريب ، لأنه مازال يذكر
شمسه الخلة عبر شقوق النافذة
الشرقية — حجبت الشماع المتناثر
على أطراف عزلته ، إطلالة حيية من
انسانة دقيقة نحيفة ، ناحلة ضعيفة
كأصان خريفية .

أبدا لم يصدق أنها أنثى من واقع
الجوار ، أو أنها بالفعل بنت جيرانه
الفاطنين هنا في أحد أدوار تلك البناية
الشاهقة الثانية ، المبنية بمواد
مسروقة من تحصينات حرب صدئة
.. بل حرص دائما أن يرى في (ركبة)
هذه صورة من صنع خياله المطلق
وحده فوق أكواخ التنك والحصر ،
المشمسة حول البيوت العالية
كطيليبات حشيشية ، تفرزها عادة
جدران المياه الأسنة .

ولو سألتها اليوم أن يصفك زكية ،
لعجز عن اقتناعك بأنها كانت موجودة
بالفعل في عالم البشر .. ولما تصدى
تعريفه لها سوى القول بأنها طيف
غالبض من الأطياف قد عبر .. فلم



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

زكية

قصة بقلم
عصام عسيران

الغرفة الصغيرة ذات النافذتين في
بيته المستأجر .

وبيته هذا قام يوما في دور من
أدوار بناية قاتمة اللون ، بناها
صاحبها من مخلفات الحرب العالمية
الثانية ، وسط تلك المدينة الصاخبة ،
في حي معتم ، يزدهم بخليط غريب
متناثر من سكان كادحين وآخرين
كسالى ، وأناس بائسين وآخرين

ملنين أبواق السيارات ، وأصداء
نداء الباعة الدافعين أمامهم عربات
مقلدة بالخضروات ، وصياح أطفال
الجوار .. بالإضافة إلى دقات
متتابعة عنيفة في هاون نحاسي ..
كل ذلك وغيرها أيضا .. كان ينفذ
إلى أذنيه كحجر وسط بركة من
الصمت ، تنداح تهوجاتها وتلف حوله
من كل جانب .. كلها أوى إلى

وردت من الوطن البعيد ، كامل وعيه
بفداحة النكبة التي نسج خيوطها ..
غافلا عما تحيك له الأقدار ..

فمع الأمل الذي كان يخبو يوما بعد
يوم في صدر زكية الحزينة ، كان
الجسد يضمر وتجف ذباته ، مما
عجل بأن يلجأ أهلها الى إجبارها
على أن تأوي الى كنف زوج كهل كان
قد طلق زوجة له من قبل ، وعلى
أن تباعد معه الى إحدى قرى الأرض
المحتلة في فلسطين .

وهناك .. لاتأها الأجل المحتوم
.. فخبث ضياؤها بعد أيام قليلة
من وصولها .. وبشكل غامض ،
تضاربت معه أوجه التعميل في
تفسير انطفائها الخاطف السريع ..
حتى جزم المقربون بأن جسدها
النحل لم يحتل تلاحق الهجرات
المريرة .. فتعثر بصاحبته في أخايد
الدرب الطويل الطويل ..

عصام عسيران

أو التدله والانجذاب .. بل كان يقنع
من المعترك كله بشعور من الرضا
المشوب بالغرور ، تركه يسيطر عليه
بعد أن ألغى نفسه مركزا لمعابة انثوية
سابقة الحنان ، لا تتطلب منه بالمقابل
أي جهد ..

ويبضي عابان على هذه الحال .
ثم يغادر صاحبنا موطنه فجأة .. غير
متلفت اطلاقا الى مشاعر فتاة بقيت
هناك ، لا يخفق قلبها بحب الحياة
الا من أجله وحده ، دون خلق الله
جميعا ..!

وتمر الأيام .. وتعمل مشاغلها
المادية وهموم الاغتراب الموحش
القاسي على طمس معالم تلك
الصورة الجميلة التي كانت قد علقت
بذهنه عندما ودع ذات يوم زكية
الدائمة العيني ، الوضاعة الوجهة
والجبين .. وزحف الشيطان الى
دنياه مع تقاتم وطأة الفسرية وكر
اللبالي .. حتى أعادت اليه رسالة

يفرك وراءه من الأثر ، غير ما يبقَى
برق خلب في سماء صحراوية صائفة
نقية ..!

ما التقت عيناه بناظرها يوما الا
ولحت فيهما البريق الانثوي المشتب
بالأل .. يود لو ينفذ الى امرأة
نفسه شعاعا يرتد حنانا ، وصدى
يتجاوب محبة ..

ولكن سطح مراكته العقيم ، كان
يغترف الشعاع دافئا ويلتهم البذور،
دون أن يعكس — ولو لمرة واحدة —
قبسا من مودة ، أو يبيت — ما وجد —
برعا من وفاء ..

نثرت (زكية) دربه بورود حسب
عميق صامت خجول ، لا يدنس حتى
اليسوح والهيس .. وحرصت ،
طوال اشهر لا يدري اليوم لها عددا ،
على أن يكتفي بالعطر ينبعث من تلك
الورود العباقيات ، فلا تملى عين من
عينيه يوما بجمال الورد ذاته .. كما
لا تنلس يد من يديه أبدا وخسرات
الشوك في تلافيف الزهور ..

أجل ، حرصت زكية — وطوال
شهور لا يدري اليوم لها عددا — على
أن تخفي من بيته حالما يعود اليه ،
ظهورا أو مساء ، تاركة وراءها كل
ما ينم عن لمسة حانية من لمسائها .
كانت تقوم مقام أمه في كي ملابسه
وترتيب أدواته وكتبه المنائفة واعادة
النظام الى غرفته .. مضيفة على
كل ما تقوم به مسحة من بساطة
ذوقها وجمال تفننها ..

وتد حسب الامر في البداية لا يعدو
نوعا من العون ، تقدمه زكية لأمه .
الا أن والدته بدلت حسبانته حينما
شرعت تلجج بالنشاء على تهذيب
زكية واحتشامها وذكائها وفطنها ،
بشيرة ، بالتلميح حينما والتصريح
حينما آخر ، الى ما يختلج في نفس
فتاة ضائعة في لجة عائلتها الكبيرة ،
محرومة من أي اهتمام حان رؤوم .
بيد أنه لم يستطع أن يكن لزكية
غير نوع من الوداد المعترف بالجميل،
لا يرقى قط الى أي شكل من الوله





سأجعل منك بقيا من ليالي
كما صيرتني أغنى رمال
تفتح كأنها تبغي انعتاقا
لتمسي فوق كهفك كالهلال

عجبت لشدة الأعماق شدا
ولم يسبح خيالك في خيالي
وكننا كالجمال أمام ريح
فها نحن بقايا من جبال
وأنا كنا انعتاقنا من كهوف

فها نحن انحدر من اعالي
وليس لاننا لم نبغ شرا
وانا لم نكن مثل الرجال
وليس لاننا احلام ماض ،
كما قالوا ، تأهب للزوال
ولكننا تهاوينا فكننا

ضياعا ضاع في قيل وقال
وما ادنى دروبك من دروبي
وحالك ربما كانت كحالي
كلانا نبتغي هدفا ولكن
رأيت بك انحرافا للضلال ..

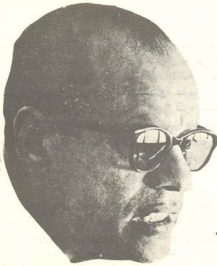
محمد الفاييز

الأنغم الحادي والعشرون

من ديوان " رسوم الأنغم المفكر "



شعر
محمد
الفايز



رسالة
من

نجيب محفوظ

نشره والقي به الى الجمهور ، نأذ انفصل هذا العمل
الاداعي عن صاحبه ، انفصال الوليد عن امه ،
وصار حقيقة موضوعية ، ولم يعد ملكا خاصا ،
واصبح من حق الناقد ان يقراه .. وان يعين عامة
القراء على فهمه وتذوقه ، من خلال وعيه هو المتميز
بالنضج وسلامة الادراك . ولكن هذا لا يعني ، ولا
بد ان ننهب الى ذلك ، اهمال تفسير الاديب لاعماله،
والوقوف على مقاصده كما تخيلها او تنهاها ، فهو
وحده القادر على منحنا هذا الجانب الغامض والزاهر
بالمناقضات ، المتمثل في لحظة الولادة الفنية ، وما
يسبقها من احتشاد نفسي ، وتردد فكري ، وقلق
فني يبحث عن نقطة البداية في هيكل عظيم سيتجاوز
صاحبه الى مدى طويل . لابد من الاشارة الى اقصى
درجة ممكنة ، ولكن الوصاية مرغوة .

واحسب — اذا حق لي ان اكشف عن اصول
هذه الفكرة في نفسي — ان سببها كان كتاب «التعاضل»
الذي حاول به الاستاذ الحكيم ان يكشف عن
فلسفته الفنية ، وان يضع اعماله كلها داخل هذا
الاطار الشامل . ولكني ، وقد قرأت كل ما كتب الحكيم
ابان اعدادي لرسالة الدكتوراه ، لم اجد اعماله ، ولفترة
طويلة نسبيا ، تدخل في هذا الاطار ، اي تحقق
فكرته عن التعاضل . وربما كان حديث محمود
تيمور في كتابه «الادب الهادف» يعطي هذا المفزى
النهائي بالنسبة لاعماله الفنية المبكرة .. وبعض
اعماله الاخيرة . ويكون معنى ذلك كله في النهاية ان

قبل ان اعرض هذه الرسالة الخطيرة ، التي
تلقيتها من اديبنا الكبير الاستاذ نجيب محفوظ ، تعلينا
على كتابي «الاسلامية والروحية في ادب نجيب محفوظ»
ارى من الواجب علي ان اوضح بعض الجوانب .
وارى ان نستبعد — منذ البداية فكرة الترويج
للكتاب او لصاحبه ، فالكتاب قد صدر منذ شهرين عن
دار نشر محترمة ، وهي المسئولة — بوسائلها —
عن الترويج له ، اما صاحبه فانه من دواعي شرفه
وسروره انه من كتاب هذه المجلة ، ومن ثم فانه من
المتوقع ان يكون مألوفاً لقراءها ، وانه ليس في حاجة
لمزيد من الالفة . وارى ان نضع تحت هذا العنوان ايضا
— اي استبعاد فكرة الدعابة — كلمات التشجيع
المهذبة التي بدا بها اديبنا العظيم رسالته الي ، ومثله
جدير بان يشجع مثلي على اي حال . ولكن نشر
الرسالة بكاملها ، وبخطه ، قصد به الى امر اجل من
ذلك واشد خطرا .

ولقد كنت ارى دائما ، وانبه تلايذي السذين
التي عليهم بعض دروس الادب والنقد في جامعة الكويت
الى ما اراه ، من ان الاديب المبدع حين يتعرض لادبه
بالنقد والتفسير ، انها هو ناقد ليس غير ، وانه
ليس من حقه ان يفرض وصايته على اعماله الادبية،
فيحجر على آراء المخالفين ، او يتعسف في فرض
تفسيرات معينة لم يقل بها غيره . وبعبارة اخرى : ان
العمل الادبي ملك لصاحبه ما دام في رعايته الخاصة ..
اي طالما هو اوراق مخطوطة على مكتبه ، فاذا ما قبل

ادباعنا حين يتقدم بهم العمر وتلخص تجربتهم الفنية ويتسع اطلاعهم يرون من الواجب ان يقولوا كلمة حول ما كتبوا من ادب ، ولكن هذه الكلمة ، تأتي في نشوج التجربة المدربة الخيرة صادقة عليها ، اكثر مما تصدق على اعمال ادبية كتبت في فترة مبكرة ، ولم يكن البناء الفكري او الوهم الفني عند الكاتيب بهذا الوضوح او التحدد . واذا فمكّن القول — دون شطط — ان تفسير الاديب لعمله يمكن ان يكون رأيا ..

مجرد رأي لا كل الرأي .
وهنا ، في هذه الرسالة ، سنرى نجيب محفوظ يوضح جوانب من فكره على غاية من الاهمية ، لانها تصمد الكثير من التفسيرات التي وضعت لادبه على ايدي اشهر نقاده . فهل نعتبر ذلك مجرد رأي ؟!

نعم .. لحق الناقد في الفهم والتفسير ، ولا ...
رفضاً للتعمق والانتقال والصاق الرأي الخاص الذي لا يملك الناقد ان يتحمل مسؤوليته ، اديب شجاع يقول ما يراه حقاً .. الصائغ بأسلوب « تلفيق الهم » . من حق الاديب اذاً ان يوضح نفسه ، ومن حقه حين يرى اكثر من تفسير لاماله ان يقول : هذا اكثر فهمي لي وتجاولوا مع نفسي ، دون ان يكون في ذلك رفضاً للرأي المخالف ، بشرط نزاهته . وهذا فارق اساسي في موقف نجيب محفوظ من نقاده ، فهو هنا يختار ويوضح ويرجح بين اتيوال مشورة ومختلفة في فهمه اختلافاً لا سبيل الى التوفيق بينها ، وهو ايضا قريب عهد بتلك الاعمال التي يكشف عن مراده منها ، وهذا ما يختلف فيه مع موقف « الحكيم » الاشار اليه ، فالتعادلية كان يفسر اعمالاً مضى عليها اكثر من ربع قرن ، ولم تعد قضاياها قضايا جيلنا ، ولكن نجيب محفوظ لا يزال موصول بالنسب بجيله وجيلنا معا ، ولا تزال اعماله دافئة بقلوب قرائه اكثر في شتى انحاء العالم العربي ، واذا كان الخلاف المثار يجري حول روايات لم يرض على اوغلبها في البعد اكثر من خمس عشرة سنة ، ولا تزال القضية نفسها تتجدد في اعماله التالية .. الى اليوم ، فمعنى ذلك ان « ملف » القضية لم يقفل بعد ، وانها لا تزال مطروحة للحوار .

يبقى جانب آخر ..

لقد كتب الكثير عن نجيب محفوظ ، نذكر كتابات محمود امين العالم وعبدالمعظم انيس ولويس عوض ويوسف الشاروني وغالي شكري ونبيل راغب وغيرهم في مصر وخارجها . وقد شاعت عن متجهه الفكري اقوال وملامح شبتت الجو النقدي فكانت ضباباً كثيفاً يحول دون الرؤية الشخصية والحررة لادبه ، ومن الحق ان هذه الكتابات لا تتطابق ، ولكن من الحق ايضا ان خلوطها عريضة تجمع بينها في اطار واحد يظهر

احياناً في تفسير رموزه ، او في انماه الطبقي ، او في متجهه الفلسفي ، او في موقفه الاجتماعي .. الخ ، ومن الحق اخراً انني لم استطع ان اخلص تهايا من تأثير هذا الجو وانا اعتمد فملاً عن نجيب محفوظ والواقعية ، في كتابي « الواقعية في الرواية العربية » ، ولكن عدم الاطمئنان يتضح في هذا الفصل ايضا ، فقد حاولت جاهداً ان ابين كيف ان الاراء الخاصة والمعتقدات السياسية والدينية لهؤلاء النقاد او لبعضهم كانت تنففس في تفسير اعمال اديبنا الكبير وتحمل عليه حملاً ، واننا احياناً نقرأ الناقد اكثر مما نقرأ الاديب ، وليس هذا من النقد في شيء مهما بلغ من براعة التاويل . وسأذكر بعض الائمة ، فقد قلت عن محاولة « المنهي » جمع اشئات شخصيات نجيب محفوظ في اطار البرجوازية انه « بسبب شخصيات نجيب محفوظ في قلوب من صنعه تجمع بين ما لا يجتمع » . وفي مكان اخر ناقشت وتحفظت على ما قرره مؤلفاً « في الثقافة المصرية » حين جعلنا الكارئة تنتظر شخصيات نجيب البرجوازية ، وذلك « حين تخرج باحثة عن حل فردي لتناقضاتها بعيداً عن الحل الاجتماعي العام » كما رفضت اطلاق لقب « كاتب البرجوازية » على نجيب محفوظ ، لان الكتابة عن طبقة لا تعني بالضرورة الانتساب اليها ، ومدار الامر على الموقف الفكري وزاوية الرؤية .

وهكذا في آياكن عديدة يبدو عدم الرضا عن التفسيرات الجاهزة ، ولكن ، احسب ان طبيعة البحوث المقيدة للدرجات الجامعية لانتيج الكثير من مغامرة الاكتشاف والمناقشة من جانب تحفظها التقليدي ومن جانب وضع الكم — بالنسبة للمراجع — في الاعتبار ، وضرورة الرضا او القبول على اساس — غالباً — من اقوال مقرة ، اي اخبرت واستمرت ! وحين نتحدث الى الزميل القديم والمصدق الكريم الاستاذ يعقوب الغنيم عن فكرة هذه الدراسة ، واعني البحث عن الملامح الاسلامية والنزعة الروحية عند اديب هو عند الكثرة من نقاده مادي صريح ، بل ملحد صريح ايضا ، تحبس للفكرة بعد مناقشة مثمرة . وانتهى الامر الى ان اخذ على عاتقه نشر الكتاب .. وقد كان ..

ولم اكن اقدر لدراستي — اول الامر — هذا الحجم ، حسبها مقالة مطولة ، فاذا بالظاهرة تكبر ، واذا بالكاتب قد اخضع لعملية « قسر » من نوع غريب ، ففسرت شخصياته الاسلامية في « الثلاثية » تفسيراً عجيباً ، وفسرت رموزه في « الطريق » و « اولاد حارتنا » على اساس من انه ملحد او مادي ، وانه يسلم بان الدين قد ادى دوره ولم يمد اماله الا ان يلقي قيساً الانسانية الى العلم ! الى اخر هذه المقولات

تبني أو تدمر .. حسب الدوافع والالتزام الخلقي والروحي ...
والآن ...

سنرى ان كاتبنا الكبير يوضح نفسه اكثر مما استطاع اي من المشتكين على شهرته ، والمنتفعين بانتشاره وبشجاعته وعق تجربته ان يفعلوا .. فما هو نبض قلبه ، وما هو ايمانه الخاص .. ليس الماركسية ، وليس الاحادية ، وليس الفوضوية ، وليس العدمية ، وليس الجمود ..
فما هو اذا ..

هذا ما توضحه رسالة نجيب محفوظ .. ننشرها دون تعليق ..

الدكتور محمد حسن عبدالله

المشهورة والكاذبة معا .. وهي كاذبة لا لانها لا توافق رأيي الخاص ، بل هي ايضا ليست كاذبة مجرد انها تخالف رأي نجيب محفوظ في رسالته هذه ، فقد اتفقتا على طرح وصاية الكاتب على ابيه ، وانما هي كاذبة لان العمل الفني نفسه لا يعين عليها .. ولا يتقبلها ، ولا يمكن فهمه على اساسها بل لا بد - لكي يفهم - ان يفسر على العكس تماما !

« اولاد حارثا » رواية اسلامية ، مصدرها القرآن الكريم ، وتفسيرها لظواهر الكون وتتالى الرسائل تفسير اسلامي ، و « الطريق » تعبر عن نفس الموقف الاسلامي من حيرة المصير بين الجبر والاختيار ، والعلم ليس وارثا للدين او خليفة له ، وانما هو وسيلة من وسائل الحياة ، تصلح او تفسد ،

سيدى الدكتور محمد حسن عبدالله

الحقيقة كتابكم « الاسلاميين والروحانية » اربح نجيب محفوظ « فقرته بنف ودوره توفيق » واشهد بانني جديده في نظرتي ونسبتي في رؤياي ورأيت فاعلم مع استقلال فكركم وسموه فاعلم .. ولم اجدنا قضاياه اطلاقا .. بل بعدة تلميح .. ولعل الاضطراب الناشئ من قراوة ادبي احيا لنا مصدرة .. ان تلميحنا جميع به .. والتميز بيننا والتميز بيننا .. لا اشتراكية .. ومحاضرة الجميع بينه الله واشتركت بيننا .. نظير ما لا تجد عند قوم وبالحقيقة عند اخرهم .. ولما لم نجيب به انه ينمو الطيف الشيعي دينا .. انني بعضني عاتقنا للثقافة افهم اني انية بنجور مع تطور الزمن .. ولا تصلح للعبادة مع الاملاص .. اما ما يشير اني في الشيعي فهو عندنا في الاجتماع المطلقة .. والتي لم تصعد بعد .. ووسائلنا .. الا وهى .. ان كل مع قدر طاعة ولكل .. قد حاشته .. فهو اساسي .. كل من .. المعاملة الانسانية .. يجعل منه البشرية .. اسرة .. سامية .. واتحادى صورة .. تتوجب على ادمه .. بدمه .. ادمه قبلا بالتفسير الحادى او بأشار الله ؟

وليسنى باسدي الى ان اوجى اليكم صداره الشكر التقدير سائلا المولى ان يجعلكم مثلا للعبرة الكفنة والعلم الحقيقى .. دونه يجعل به كتابكم مرشدا للعرب .. وقد حفظ العبر .. يدور في طريق الحضارة والتقدم بلا تخلى عند انزاله منه قبيل الموروثية

ورثتم للخلق

محمد محفوظ

١٩٧٤ / ٤ / ١٥



الدكتور محمد حسن عبد الله

كتابات ومؤلف

بقلم : الدكتور أحمد مطلوب

البروليتاريان يشكلان جزءا من كل القضية الثورية البروليتارية ، وهما كما قال لينين : « ترس ومسبار لولبي في كل الماكينة الثورية » . وان ادبنا وفننا يجب ان يستهدفا خفة الجماهير العربية من اجل الشعب وفي مقبدهم العمال والفلاحون والجنود بحيث يبدعان لاجل العمال والفلاحين والجنود وينتفع بهما العمال والفلاحون والجنود . وتحدث ماوتسي عن معيار النقد الادبي وقتل بان هناك معيارين للنقد الادبي والفني : احدهما المعيار السياسي والاخر المعيار الفني . وطالب بالوحدة بين السياسة والفن ، والوحدة بين المحتوى والشكل اي الوحدة بين المحتوى السياسي الثوري وبين اعلى مستوى ممكن من الشكل الفني .

ولم يبق هذا الاتجاه محصورا في الدول الشيوعية بل تجاوزها الى البلدان الرأسمالية فظهرت بوادره في انكلترة بصورة واضحة بعد عام ١٩٣٠ واخذ بعض النقاد والادباء الانكليز بهذا اللون . وتجلي في امريكا في هذه الفترة ايضا حينما بدأ مايكل جولد يحرق مجلة الجماهير الجديدة سنة ١٩٢٨ ، وحاول جوزيف غريمان في « نداءات اكتوبر » و « الادب البروليتاري » ان يجعل النقد الماركسي مقبولا ، ثم اصبح له كتاب كبير ومحررون في الصحف الكبرى يروجون له وينتقدون الاثر الادبية في ضوءه .

وتأثر العرب بهذا اللون من النقد وصار بعض الكتاب ينادي بربط النقد بالسياسة والواقع الاجتماعي الذي يحياه الاديب ، ودعا الدكتور محمد مندور الى

اما الكتابان فهما « الواقعية في الرواية العربية » و « الاسلامية والروحانية في ادب نجيب محفوظ » ، واما المؤلف فهو الاديب النقاد الدكتور محبة حسن عبدالله . وموضوع الكتاب الاول من القضايا المهمة التي تشغل الادباء والنقاد العرب في هذه الايام كما ينبغي ان تشغل الاوربيين منذ سنوات بعيدة حينما ثار بعض النقاد على المذاهب الادبية السائدة في القرن التاسع عشر واندفعوا الى تبني الواقعية والطبيعية . واشتهر في ذلك الوقت كتاب اتخذوا من هذين الاتجاهين سبيلا مثل ستندال وبلزاك وفلوبير واميل زولا ودي موباسان ووجهت الثورة في روسية الادب توجيها جديدا وتحولت الواقعية الاوربية الى « الواقعية الاشتراكية » وكان لانكسار كارل ماركس وانجلز اثر في ظهورها ، وقد تبلورت عند لينين الذي رأى ان الفن سلاح في الكفاح الطبقي ولا بد من استخدامه في احداث الثورة ، وان الحقيقة والحرية ابران لا يستطيع الفنان الثور علها الا حين يكون عضوا في الحزب او معه ، وان الفن يعكس الحقيقة الاجتماعية وهو ثروة يجب ان يقدم للطبقة العاملة ويجب ان يكون في خدمة الاشتراكية واهدائها .

وحينما تامت الثورة في الصين حمل رجالها هذه الفكرة وطبقوها تطبيقا دقيقا ، وفي ذلك قال ماوتسي تونغ ان كل ثقافة او كل ادب ومن في عالمنا اليوم يتبع طبقة معينة وخلا سياسيا معيناً ، وليس هناك في الواقع فن من اجل الفن او فن فوق الطبقات او فن مواز للسياسة او مستقل عنها . والادب والفن

منهج جديد في النقد سباه « النقد الايدولوجي » . ومعظم الذين بنوا هذا الاتجاه يهيمون الواقعية على انها « الواقعية الاشتراكية » التي يدعو اليها الماركسيون لا الواقعية او الطبيعية التي ظهرت في اوروبا قبل اكثر من قرن . ولذلك لا يقبلون اي لون من الواقعية او الاشتراكية ما لم تكن قائمة على اسس ماركسية لينينية ، ومن هنا كان الصراع بينهم وبين الذين ينادون بالواقعية على اساس اجتماعي لا يرتبط بالمادية الجدلية ورفضوا كل الاعمال الادبية البعيدة عن عقيدتهم او التي لا ترتبط بها ارتباطا وثيقا ، ووصفوا اصحابها بشتى التعموت مما اشار النقاد الاخرين فهاجبهم وفسدوا دعواهم ، قال (ج . آنكوف) ان الواقعية الاشتراكية ليست الا طبيعة فوتوغرافية وايدولوجية تهدف — اذ تفصل الانشياء — الى غاية واحدة هي تثبيت اوامر المكتب السياسي ، وانها تفسد الفن والادب والنقد لانها لا تخرج عما يرسمه المسؤولون في الحزب او لجنته المركزية . ووقف المرحوم العقاد بوجه الفكرة الاشتراكية التي تحرم الاديب ان يكتب حرصا لا ينتهي الى لقبة خبز او الى تسجيل خرب الطبقات ونظم الاجتماع .

والدكتور محمد حسن عبدالله حينما تحدث عن « الواقعية في الرواية العربية » لم يقصد معناها الضيق وانما نظر اليها نظرة شاملة تقوم على تطور المصطلح ولذلك رفض القول بالمصطلح الجاد وتقبله في معناه العام ناهيا ومتجددا ، وحسنا فعل ، والا انه قد بناه بوحته كله لان الذين تحدث عنهم لم يكونوا جميعا من دعاة « الواقعية الاشتراكية » بل من الذين عالجوا واقع مجتمعهم في ضوء النظرة الانسانية الواسعة . ومن هنا وفق في دراسته العميقة كل التوفيق واطهر ابعاد الواقعية في الرواية العربية منذ عهدها المبكر الى عام ١٩٥٢ ، وهو العام الذي قامت فيه ثورة مصر العربية .

وكتاب « الواقعية في الرواية العربية » في ثلاثة اقسام ، اتخذ الاول منها « تاصيل الواقعية » هدفا ليوضح عصر الواقعية ومكوناته الفلسفية والعلمية والاجتماعية ، ويتحدث عن الواقعية والطبيعية والواقعية الاشتراكية وتضايها ، وقد وقف المؤلف طويلا عند اراء الاوربيين في هذا المذهب ولا سيما سان سيبون الذي حاول اتباعه تحقيق دعوته في مصر وكانوا وراء افتتاح بعض المدارس العلمية والفنية ، وكارل بركس الذي كان خاتمة المطاف في اقامة هذا المذهب . وتتضح في هذا القسم النظرة الشاملة لكل ما يتصل بالموضوع ، ورصد الواقعية منذ نشأتها حتى نضجها واكتبالها على يد الواقعيين الاشتراكيين . وتحدث القسم الثاني عن البواكير والحركة

المؤسسة للواقعية ، وكان الفصل الاول منه تبينا للبيئة العامة والواقع المصري وما اعتبلت فيه من حركات اصلاحية تهدف الى تطويره . وكان للراء الجريئة والمواقف الصلبة التي وقفها الادباء والمفكرون اثر عظيم في هذا التطور الذي اثمر خير الثمرات . والفصل الثاني عن ثمرة البيئة الادبية التي بشرت بالرواية الواقعية ، وفيه كان الحديث عن المضمون الاجتماعي للمقالات الحديثة ، والوقت الطويلة عند « ليالي الروح الحائر » لمحمد لطفي جمعة التي لم يعرض لها احد من الباحثين بدراسة تفصيلية ولم يصنفها الدارسون لفن الرواية ولم ينتقدها المتعرضون لفن المقالة . وقد احسن المؤلف حينما وقف طويلا عند هذه المقالة عارضا ومحللا وناقدا ، وانتهى الى انها ادخل في سباب التأملات والخواطر ، وهي تأملات مقشاة وخواطر حزينة بالأسسة . ثم الحديث عن الملحح الواقعية في الرواية الرومانسية التي سبقت المذاهب الاخرى في مصر ، وكانت « زينب » للدكتور محمد حسين هيكل علامة على مرحلة واتجاه لانها جعلت الحياة المصرية في ابرز قطاعاتها واشملها وهو القطاع الريفي بجالا لاهتمامها وان غلب الطابع الرومانسي عليها . وكان للرواية التاريخية وتظفرها بالواقع نصيب في هذا الفصل الذي يدل على توسع المؤلف في تفسير المفهوم المذهبي للواقعية . وكان الفصل الثالث عن الحركة الواقعية الاولى ، وقد بدت واضحة في محاولة مبكرة قام بها محمد لطفي جمعة حين دعا الى رفض العزلة والتخيل واعتناق الملاحظة ومعايشة التجربة في مقدمة روايته « في وادي المهوم » . وسرت هذه النعمة بين الكتاب والزعماء بعضهم ، وقد تجلت بوضوح في مقدمة عيسى عبيد لمجموعته القصصية « احسان هائم » وفي غيرها من المقالات والروايات التي اتخذت بيئة مصر وواقعها ميدانا لتصوير ما كان يعانيه الشعب من آلام .

اما القسم الثالث فهو مرحلة الازدهار ، وهي اهم مرحلة عالجها المؤلف ، وذلك ان الحياة تغيرت كثيرا بعد عام ١٩٣٠ وشهدت مصر والعالم احداثا جساما كان لها ابلغ اثر في الادباء والمفكرين . وفي هذا القسم رصد اسلوبين من اساليب الواقعية هما: الواقعية التسجيلية التي تهتم بالرصد المباشر للتجربة وبالحركة المادية للنظر ، والاخر الواقعية التحليلية . وهذا التقسيم يدل دلالة عبيقة على ادراكه لتطور المصطلح وتمسكه بالاساس الفني الذي هو سمة الكتاب قبل ستمهم السياسي او موقفهم الاجتماعي . وفي هذين القسمين او الفصلين حديث عن اشهر الكتاب الذين ضمهم المؤلف الى هذين الاتجاهين كتوفيق الحكيم وطه حسين وعبدالحيد جودة السحار وعبد الرحمن الشراوي ومحمود تيمور وعادل كامل ويحيى حتى

واحمد زكي مخلوف ، وفيهما اظهار للواقعية في رواياتها وتحليلها ونقدها .

والفصل الثالث من هذا القسم عن « نجيب محفوظ والواقعية » وهو فصل حافل بالتحليل والنقد بالرغم من تواضع المؤلف وقوله بأنه ليس كشفا وتنبعا مستقصيا للملاحم والعناصر الواقعية في ادب نجيب محفوظ لسببين لا يخلوان من قبول :

اولهما : ان هذا الكاتب لا يزال يوالي نتاجه مجربا في الاسلوب والتكنيك بل يوشك ان يماكس فكريا - في اثره الاخرة - ما بشر به في البداية ، ومن ثم فان تتبع خط ما كتب حتى الان سيكون على توابك رواياته في حدود المحاولة الفاشلة والاستنتاج غير الدقيق ..

وثانيهما : ان هذه الدراسة من الخير لها ان تتوقف عند عام الثورة المصرية التي غصت وجه المجتمع المصري واثرت جذريا في مختلف نشاطات الحياة واتجاهاتها . ولكن هذين السببين لا يمنعان الكلام على نجيب محفوظ ، لان مدى البحث ينتهي بقيام الثورة المصرية ، ول محفوظ كثير من الروايات قبل هذا الحدث العظيم تنحو منحى اجتماعيا او واقعيا . وقد احسن المؤلف حينها خاض البحث في ادب هذا الكاتب العملاق بالرغم من التملة التي ذكرها ، وعالج كثيرا من القضايا التي تدل على عمق واصالة الفنتين ، ويوضح ذلك في الكلام على اتجاهه محفوظ في التحليل والشكل الفني ومنابع ثقافته وعلاقته بالكتابات الاخرين وصلته بالانجاء الواقعي الذي انكره بعضهم وردوه الى البرجوازية . وقد دافع المؤلف عنه ونفى هذه الصفة وكأنها تهمة لا ينبغي ان تعلق باحد من الناس فكيف بالادباء

والمفكرين ؟ ولعله بذلك يرد على الواقعيين الاشتراكيين الذين لا يفهمون الادب الا في ضوء مذهبهم ، ولا يرون الانسان - كما قال - الا معادلة جبرية او قانونا علميا يقبل التطبيق الجاسد ويؤدي الى نتيجة التناقض . هذه بعض ملامح كتاب « الواقعية في الرواية العربية » وقد لا نستطيع الكلمات العسيرة ان تعطي صورة واضحة من هذا السفر الكبير الذي جاء حافلا بالعرض الفائق والتحليل الرائع والتدقيق الصائب ، وزاخرا بالاراء الكثيرة والاتجاهات المختلفة ، وهو يدل على ان مؤلفه توسع في قراءاته وافاد من خبراته وكان الايمان العربي والغربي دليله في رحلته الشاقة الطويلة التي خرج منها ظاهرا منصوصا .

ان دارس الكتاب يشعر بالراحة والطمأنينة وهو يجتاز الابواب والفصول ، ويحس بالليونة تغره والفائدة تحيط به من كل جانب ، ولكنه يود لو ان المؤلف :

١ - سمي كتابه « الواقعية في الرواية العربية في مصر » ليكون اكثر دقة ودلالة ، بعد ان حصر الحديث في الرواية العربية في مصر .

٢ - اعتمد على المصادر والمراجع الاساسية وترك الثانوية في القسم الاول من الكتاب .

٣ - اعنى بأسلوبه الرفيع وعباراته الجميلة اكثر مما فعل ، فقد وقعت بعض الاخطاء النحوية - ولعلها من المطبعة - وحدث في بعض العبارات تقديم وتأخير لا يذهب بالمعنى ولكنه يخرج على مستوى الكتاب واسلوبه الرائع .

٤ - تحدث في القسم الاول عن الواقعية عند النقاد العرب وموقفهم منها لتتضح بداية هذا المذهب عند النقاد ، وليس هناك من سبب يدعو الى حذف ما كان في الاصل الخطوط الا اذا كان بايحاء من اعضاء لجنة الامتحان ، وليس ذلك بلزم في كثير من الاحيان .

٥ - حذف مقدمة القسم الثاني لان موضعه مقدمة البحث واهدائه ومنهجه .

٦ - وقف عند بعض الاحكام وقفة اخرى ، ومن ذلك القول بان المنطوق علامة معوقة على طريق الرواية الواقعية ، والقول بان دخول المعالجة في الرواية كان شرعا وعي فني ذاتي اكثر منها وليد تطور اجتماعي او ازمة عارضة ، لان الراجح انها من اثر بعض البشريين امثال كارلو لندبرج - عبر السويدي - وكارل فونرس وولكويس وسلدن ولور وفيرهم من السائرين في ركابهم .

وليس في هذه الملاحظات ما ينقص من قدر الكتاب ، بل ترغبه لانها عامة لا تبس جوهر البحث ولا تنقص مقدماته ونتائجه .

ولم يقف الدكتور محمد حسن عبدالله عند تلمس الواقعية في ادب نجيب محفوظ في الفصل الاخير من كتابه هذا ، بل تلمس الاسلامية والروحانية في ادبه بكتابه الجديد « الاسلامية والروحانية في ادب نجيب محفوظ » وهو كما قال في مقدمة مقدمته : « مناقشة هادئة لبعض الاتجاهات الروحية والقضايا الاسلامية في ادب نجيب محفوظ الروائي . وقد يتعجب اصحاب الراء الجاهزة كما سيتعجب اصحاب المواقف المتزمنة من هذه المحاولة ، ولكني ارى انها متأخرة عن موعدها ثلث قرن من الزمان . ان اختلافنا الفكري او العقيدي مع كاتب ما لا يعطينا الحق في الانصراف عن نقده اكثر اتساع مساحة المخالفة على المدى الطويل فاذا نحن دون قصد شاركناه في تاصيل وتثبيت اتجاهه الذي لا نرتضيه ، بل لعل الكاتب لا يسير فيه ببله الرضا . ان هذه المحاولة لا تهدف الى وضع نجيب



سيما الاسلام الذي حاول بعضهم مختلف الاسباب والدوافع ان يشوهوا معالمة ويصفوه بسا في نفوسهم من احقاد وتبعية ، وان يرجعوا سلوك المسلمين الى ما سموه التقاليد ، وما هي بالتقاليد وانما هي اساس الاسلام ومادته ، وان يجعلوا الاديان مرحلة وما هي بمرحلة بل حقيقة الانسان وجوهرة ، ما كان الاسلام في يوم من الايام دين عزلة واعتكاف ولا دين توتف وجود ، وانما كان دين عمل وانطلاق ، ودين تطور وتجديد .

وقد توصل المؤلف الى ايضاح هذه الحقائق وغيرها بتحليل شخصيات محفوظ والوقت على ارائها واتجاهاتها ونهجها فبها يقوم على النظرة العميقة التي لا توجهها الآراء السابقة والاهواء المنحرفة . ولا يملك الدارس اخرا الا ان يقتنع بما قاله المؤلف ولا سيما اذا كان مطالعا على ادب محفوظ واقفا عند شخصياته ، ويجوز ان رأي سابق او هوى جامع . وفي شخصياته اليسارية ما يؤيد مذهب المؤلف ويأخذ به الى حيث ينبغي ان يقف بعيدا عن كل تاويل وتحمل في التعبير .

ان كتاب « الاسلامية والروحية في ادب نجيب محفوظ » خطوة جديدة في النقد الادبي ، لانه لا يتخذ من المقاييس الشائعة والنظرات الضيقة والمذاهب المتنازعة سبيلا ، وانما يسق طريقه في عالم قديم جديد ، قديم لانه يمثل مقاييس امتنا العربية واهدافها النبيلة في الحياة ، وجديد لانه يبعث تلك المقاييس ويضيف اليها اسسا حديثة تنزع من واقع المسلمين وعقيدتهم السامية وواقع العرب الاصيل ولقمتهم الخالدة وادبهم المعطاء . وما اوجع الدراسات الادبية الى نقد عربي اسلامي لا الى نقد يستبد اصوله من اداب تخلف كل الاختلاف عن ادب العرب ويأخذ اسسه من عقائد لا تريد لنا الخير ، وقد كانت دراسة الدكتور محمد حسن عبدالله بداية الطريق ولعلها تقود الى دراسات اخرى تعي واقع الامة وتنبع من ايمانها بقيمتها الخالدة ..

الدكتور احمد مطلوب
جامعة الكويت

محفوظ بين الكتاب الاسلاميين بالمعنى الضيق لهذا المصطلح ، وهي اذ تتجه الى التحفظ والتوضيح تدل في النهاية على ان الصورة التي رسمت لادبه وشاعته على ايدي بعض نقاده كانت مغرصة الى حد كبير وان نقادا آخرين بصمتهم عنه قد اسهموا ايجابيا في تأكيد هذه الصورة المغرصة كما اسهموا من قبل في تعميق مفاهيم معينة عند الكاتب لانه لم يجد من يناقشه او يوضحه او يوضح له .

وليس ادل من هذه الكلمات على هدف المؤلف في كتابه الجديد الذي كان توضيحا لجانب من جوانب ادب نجيب محفوظ ، وهو جانب اغفله النقاد اما زهدا فيه او انكارا له بعدما شاع من مادية هذا الكاتب الكبير ونسبه لنفسه اصحاب بعض الاتجاهات معتمدين على تصريحاته احيانا وعلى ما في ادبه احيانا اخرى . وجاء الدكتور محمد حسن عبدالله ليكتشف جانبا جديدا طمسه الكثيرون كالمتهمي وصاحب التأملات . وليس في هذا الكتاب ما ينقض ما قاله عن محفوظ في كتابه السابق ، لان الرأي هناك اعتمد على احصاء آراء النقاد فيه ووجه النظر في تفسير ادبه ، والرأي هنا التشكك في تلك الآراء والتحرر منها واعادة القراءة التحررة من اي رأي سابق . كما انه ليس ردا على دراسة معينة او كاتب معين بل هو رد على اتجاه ذائع وانتشر بين النقاد واصبح حقيقة كئيظون . وقد وفق المؤلف في هذه النزعة الجديدة والدراسة الاصلية ، وعرض روايات محفوظ التي توضح فيها الاسلام والروحية في سبعة فصول هي :

البعد من حضارة الروح ، تحدث فيه عن الروحية في رواياته المصرية : عبث الاقدار ورادوبيس وكفاح طيبة . وقسمات المجتمع ، تحدث فيه عن خان الخليلي وزقاق الحق .

واليوم وغدا ، تحدث فيه عن القاهرة الجديدة . وبين العقيدة والسلوك ، تحدث فيه عن الثلاثية . ومعنى الحياة في الجذر المعزولة ، تحدث فيه عن اللص والكلاب والشحاذ وثرثرة فوق النيل .

وبين رحلة الضمير وفلسفة المصير ، تحدث فيه عن اولاد حارثا والطريق . وكان الفصل السابع عن « الرايا » التي صدرت مطبوعة في كتاب بعد دراسة الدكتور ، وبذلك تابع نجيب محفوظ في اعماله الى اخر ما انتج ، وهذا دليل على الروح العلمي والبحث الاصيل .

ان الرائع حقا في هذا الكتاب اظهار التسميم الروحية والاسلامية في ادب محفوظ ، والرد على التمسك بالعلم وحده من غير ايمان ، بل الرد على من يفصل العلم عن الايمان ويتخذ سبيلا للطمع في الديانات ولا

بن صبرين

شعر : محمد ملاحسين

صبري ، المشار اليه في القصيدة
صديق حميم للشاعر ، كان يعمل في الكويت .
ثم رحل عنها ليعمل في السودان الشقيق ،
وكان الشاعر يداعبه بمثل هذه المقطوعات
الشعرية ، حتى اذا ما قدر له ان يسكت
فترة من الزمن كتب اليه صديقه صبري
يستحثه على هجائه .

((البيان))

((صبري)) علام هجرتني
وقطعت كُتُبَكَ بالبريد
كانت لجرحي بلسما
وهوى يراود من بعيد
كانت تخفف من لواعج مدنف صلب عبيد
فأزف نحوك من خلال رسائل غزل القصيد
الا بأن جماعه

قدما وجاءوا بالجديد
نكروا بانك في الجنوب مملك بين العبيد
قد توجوك واجلسوك على سرير من جريد (١)
غرزوا بأعلى التاج ريشا ماس بالجزع الفريد (٢)
سنتروا مكان السواتين بقطعتين من الجلود
وازدنت في خرز القلائد والاساور من حديد
ثقبوا لك الاذنين للقرطين غالتصقا بجيد
وسموا بمشرطهم خطوطا في جبينك والخدود
وضعوا بكتك حربة
قد عمرت من عهد هود

وخريده سمراء قامت
وهي بادية النهود
أسنانها لو نضدت عقدا لازرت بالعقود
ما ان بها عرق العبيد سمت على بيضاء رود
قامت تروخ بالظهرة عنك في الحر الشديد
ويقرب دسنتك صف اثياخ القبائل كالجنود
تنتهي وتأمر فيهم من غير شرط او قيود
هذا الذي نقلوه عنك وليس عندي من مزيد
ان صح ما قالوا فقد جازفت في خطر شديد
ان الذي ما ليس منه من محيص او محيد
بغدي سيكتشفك البياض فلست من سمر وسود

فيرون فيك مزيئا
لا من نضار او نقود
فتعيث فيك حراهم
كي ياكلوك بيوم عيد

(١) جريد النخل

(٢) الجزع خرز يمتلي فيه بياض وسواد تشبه به
الاعين وماس تبخر

نماذج للبطل

في الرواية المصرية

بقلم / يوسف حسن نوفل



<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

وتتعرف عليه من خلال (المونولوج الداخلي) التالي :

« انت رجل سيء الحظ ، بل هذا قول دون الواقع بكثير ، نالحق ان الدهر نصيبك هدفا لسهام الخيبة والافئاق ، ووكيل بك قوة شيطانية فظيمة تلفك من سبيك كل فرصة سلطنة او مصانعة سعيدة (٢) ... »

وفي طريق العقد النفسية حين تتساقط من الذي صنع هذا المصير ؟ ان الاجابة هي: احمد عاكف .. لانه تعلق بأمنية استكمال دراسته برومانسية منطرفة ، وكان من الممكن ان ينظر نظرة واقعية تخلصه من عذاب نفسه ، وكان ينبغي ان يقرن الحب بالعمل الإيجابي من اجله ، لان شال المحبوبة بأمنيات خيالية ، بل بالتحرك ، والتخيل ، والتدبير ، والجرأة لا بالتخسائل ، والجبن ، والانتقاص ، والتفكعات الطبقية .

وعائنا التناقضات : الفراسة ، والحب ، هيا ركن المؤسسة لدى احمد افندي عاكف ، وغيا في نفس الوقت باب الخلاص لو احسن

زملاؤه في العمل بالفيلسوف ، وخاض في مجال الحب والجنس عدة مواقف فشل فيها جميعا . حتى ليخلو الى نفسه مؤثما :

— اما من ذرة رجولة !! (١)

ثم تكون النهاية الطبيعية ان يظفر بالفرصة مغتصبا لبيء اخوه رشدي بعد انتقاله من اسبوط الى القاهرة ليصنع مع نوال ما يشاء قبل مرضه ثم موته .

وتكون النتيجة الطبيعية لكل هذه المقدمات ان نجد رجلا يكره الناس ويبري ان المرأة الحقيقية هي البغي ! ، مقتنعا ان مجزه عنها يرجع لتفعله من الجاذبية الجنسية .

وكل هذه الامور تؤدي به الى الاستسلام غيبسافا طلا لا مياليا هو المعلم نونو الخطاط صاحب الشعار الشهير : « بلعون ابو الدنيا » وهو يكر في ذهنه بما يصبه في افئذه من ارادة جريئة فاجرة في المرأة والمثق والغرام ، ثم يحتل نونو موقع القيادة في حياته فيشوقه لتماطي (الحشيش) ثم ينضم (لقوة الزهرة) معه .

بعد ان تناولنا في العدد الماضي البطل السليبي ، ومن قبله البطل الإيجابي لتلقى اليوم بالبطل الثالث :

(ج) البطل الفاشل

لا اعني به من يخضع لمؤثرات قديسة تلك ناسيته ثم تلقى به في هاوية الفشل ، بل ذلك الذي اسبغت ارادته بضغط كبير في صنع مصيره ، بمعنى ان مقدماته ادت الى نتائجه وهذا هو فرق ما بين الفاشل والمفهور .

١ — وقد يكون مرد ذلك الى قيسود العقد والارامات النفسية ، مثل ذلك النموذج النفسي الفريد الذي قدمه نجيب محفوظ وهو احمد عاكف احمد بطل (خان الخليلي) ذلك المؤلف بمصلحة الاشغال (سنة ١٩٤١) ، والحاصل على شهادة البكالوريا سنة ١٩٢١ ينتقل مع امه وابيه وخسابهم من حي السكاكيني الى حي خان الخليلي بالقاهرة هربا من غارات الحرب العالمية الثانية ، وفي الحي الجديد تنصرف على احمد عاكف الذي فشل في دراسته للقانون ، وشغف بالاطلاع ، وسماه

ثمرة الإرتباط فيهجرها ، ليعود مرة أخرى لضغط وطول الحياة الزوجية الزائفة ، ونفاجاً ، وبعد مرور سنوات يجد زيزي تغير محلاً ، حيث اضطرته ظروف سجن زوجها ، إلى هذا ريشاً ليعود ، ويلجأ بنفها — أقصد بنته — ويكاد يجن ، ويختلس ظروف الشاطئ مرة ، فيقبلها خلسة ، ويكتفي مرة أخرى بالمرأية عن كتب ، ثم يدع اشواك الآلام تؤرقه ، ثم يقتحم عالم زيزي ، ويعرض التفاوض ، لكنهما ترفض بلا رغبة ، ليعود ميرزا إلى القاهرة.

فقد عيسى ، إذن ابنه إلى الأبد ، وذات مساء أخذ يشق طريقه إلى كورنيش الاسكندرية ، وموجبه شباب غارح الطول ، مغفول العضلات يتبعه في الظلام ، ودارت رأسه ، لا شك أنه يريد أن يعتدي عليه ، ويلحق به أذى ، أنه هو بعينه الشاب الذي كان قد حضر التحقيق معه ، يوم كانت لمسولة وجولة ، بصفته الرسمية والحزبية ، والذي اعتقل بعد ذلك ، وهاهو قد خرج من المعتقل ، وحاول الشاب أن يجر معه الحديث ، لكنه يتساعله ثم يتصرف منه لجلس في الظلام تحت شتال سعد زغلول ، مما اضطر الشاب إلى أن يرحل عنه إلى الميدان ، وحين يتبين له أن الشاب ما يكن على نية الانتماء منه كما نومه ، وحين لمح يخفي نفسها نحو شارع صافية زغلول ، تحركت في نفسه دواعي اللحاق به ، ووسع خطوته على امل بلوغه ، لكنه لم يبلغه ، بينما بدأت الدخائل الجديدة بعد منتصف الليل تتصنع فجراً جديداً .

وإذا كنت هنا قد سببت كل الظاهرة « الانتصالية » ، أي الانفصال من المجتمع ، فإن الظاهرة تشمل طبقة عيسى بأسرها ، من اطعامين وحزبيين ورجعيين ، وهي ملتصقة سياسياً ، قوى الثورة المضادة ، ولم يخفف من التصمية ما بدا من موقف عيسى من اهتمام بما يدور حوله ، ان كان الناقد الروسي ي. بروشين بتر في مقالة ترجمة الرواية إلى الروسية ان البطش قد انتهى (إلى قبول ادراك الواقع الثوري الجديد) ، ومحاوله ايجاد دور جديد له في الحياة الجديدة (٨) ، ان كان الناقد السوفييتي يقرر ذلك ، فإن طائفة من النقاد العرب تقو نحوه في تفسير هذا العمل ، وبالتحديد القلة الأخيرة من الرواية ، وهي محاولة اللحاق بالشباب المغفول العضلات ، واعتبار ذلك تحولاً من الوقف



كان ذلك وحده لعزاء ، الا ان ما وراءه كان اعظم ، حيث ان المجتمع الذي تربع عيسى على قوته ضمن التزميين ، اقتلعتهم رياح الخريف ، وكان لا بد من الهجرة ، تلياً كبحرة اسراب النسيم من امكنتها الباردة ، إلى أماكن أخرى ، أكثر دفئاً ، انهار هذا المجتمع من اساسه فيما خفي ، وكتاباً ، وحكا الخ. ومع هذا الانتصار ، انهارت سلطة ورغبة السيد جبر مكتب الوزير ، والاعظم من ذلك ان تنهار امينة كانت على وشك الزواج ، وهي كرسى وكيل الوزارة الذي كان مدحاً له ، ثم كان عليه ان يترك هذا المنزل المضم الذي يسكنه إلى اخر بليق بالحال ، ولم يعد الاغواء جدي ، وهو رسيد شخص من الاموال المفهومة من جيوب الشعب ، والمودة بينك مصر تحت رقم (٣٣١٢٢) ، ثم نزل للمائلة أصبح عليه ان يبعه .

وعلى حالة هذا التغيير في حياته ، ادار ميتيه نيبا حوله ، وقرر الانتقال من هذا البيت الضخم إلى البيت القديم ، ومعهم الأسرة غير حاصل بالمعترضين منها ، ثم قرر بيع بيت المائلة لآرامه مجوز . ذات بنت حانس ، اكل ، جائلة ، عقيم ، تزوجت اكثر من مرة ، ووج سقفة الريع من شبك سقفة مغارة ، وتزوج العانس ، عسى نعرته في عزها بموضه بعض الشيء من نعرته السابق في المفهومات الشعبية والوزارية والحزبية ، أي ما كان . ينهض الحزب والوزارة من الشعب ، وبثالة منه نصيبه ، ووسط طال هذه الحياة الزائفة الزائفة ، تلوح له زيزي غاة الشارع اللعوب فريظ بها ، رباط عشق وهوى ، ثم تظهر

الطريق اليهما ... وهكذا يستمر في (بتولوجه الداخلي) ، ويشبه من الحدة .. قتالا : « إلى الكف المظلم ، كهف الوحدة والوحشة ، إلى القبر البارد ، قبر اليأس والتفوط ، لقد ركنتني الدنيا ، وهي الدنيا ، ولازكتها وأنا الغمالي .. نأى كهف الوحشة تترود من ظلمة غشاة تحجب عن اعيننا خد الحياة (٣) » .

على ان احمد مالك يتبع مخلوه ليشمل طبقته جميعاً ، وهي الطبقة الوسطى ، التي كانت تضطرب حياتها بين الالم والتفرد والسخط انشاء وعقب الحرب العالمية الثانية ، كما تمكن طوبوها ومحاولتها الفاشلة في سبيل الارتضاع من طبقته الاجتماعية ، وكذلك ثورتها على اوضاع الحياة المحيطة بها وسخطها عليها ، كل ذلك تمكن على نصية الفرد فيها ، نبدأ بمسطدا ذا مبررة بشلولة ، وهكذا وجدنا احد عاكف في ختام الاربين نحيلاً طويلاً ، فقد الاناقة ونظام القليس ، تفكر بنظائره ، وانحسر ذراعا (جالكته) من رصفه ، وتلبد الحرق والقيار على حرف طريقه ، وصوى الحشيب إلى خذاله وموبهه (٤) .

وحين يحس بمرارة الفشل يتسرع في انتصاح لفلسفة جديدة هي فلسفة الفاشلين ، ان كل جسد في نظره يأتي من طريق الوساطة ومساعدة الآخرين ، ولعل في شواهد الحياة في عصره ، ما دفعه إلى ذلك ، فهو يسرى ان نجاح سعد زغلول — على حبه له — يرجع لأن صبره سمر له سبل النجاح ولذا فان سلم الوطائف — في نظره — يستند إما إلى الوراة ، وإما إلى القوة والكتب والرياء، والقباه والجهل (٥) .

ب — ومن نماذج البطل الفاشل من يكن رد فعله إلى : الانتصالية ، وامتني بها انفصال الانسان من مجتمعه ، وتعلقه بعالم خاص به او انفصال من نفسه ، وتعلقه بذات أخرى. والمثال اللذان يقدمان نفسيهما هنا ، هما :

(١) بطل النسيم والخريف : عيسى الدياغ الذي انفصل من مجتمعه .

(٢) بطل الطريق : صابر سيد سيد الرجبى الذي انفصل من نفسه .

عيسى الدياغ .. بفاجاً صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمصافة انتقمته من كرسية الوزير ، وقد كان من الممكن ان يبر ذلك الحدث ، لو

المضاد إلى الموضع الموالي للثورة ، وكان من هؤلاء فاروق منيب الذي رأى فيها تحولا لولف عيسى ، ورأى فيها قيمة الانسان الاجنبية حين تغلب على عقدة الشخصية (٧) .
ولم ير ذلك هو الانتفاص الواضح ، والمهاجر في نهاية الرواية الذي جعل نالسا كالدكتور لويس موش يقول : (ولا اعلم لماذا اهتم نجيب محفوظ بالإيهام كل هذا الإيهام في نهاية روايته (٨)) وهو يمينه ما دفع بالنقاد السوفييتي السابق الذكر في نفس المرجع السابق إلى ان يتخذ من جزئيات الموقف ما يشير إلى ما تقتض حنين من السوردة الحمراء في يد الشاب بالقوى التقدمية في البلاد (٩) بما يشبه حمرة الوردة من مخلول معروف .

من هنا تأتي اتفق مع الدكتور غنيمي هلال الذي سمي موقف عيسى بالمجازاة الانتهازية للمعد الجديد (٩) ، ومع الكسب الصحفي اتيس منصور الذي سباه غير المتني (١٠) .
وفي الرواية ما يدعم ذلك ، فهو حين يمسح قرار تأميم شركة قناة السويس (ص ١٤٤) ، أثر بعته مترسا بمعطية العمل ، أما طلبه (نفاس في صدره كالريش ، وأكته الحصد .
انه يتذكر كليا ثابتة في الحاضر تفكاهم القيم التاريخية التي يعيش على فكريها ، وتسرع بالتمزق في منطقة الجذب والشد الفاصلة بين شطري شخصيته المتقسمة) ، والذي صنعه بعد ذلك هو تناوله لبسج كاسات مريحة .

ومثل آخر ، أشد قسوة ، حين تسرب العدوان الثلاثي القادر مصر ، (تسامل عيسى في جزع ، كيف يحدد موقفه ، وسط هذه العواصف من الإنكار والمواطاة ؟) (ص ١٤٦) ، بل انه وقت ذلك كان يتبنى النهاية ، ولم يخفف من ذلك رغبته في المناقشة الدائرة بينه وبين اصداقاته ، لوزيمة اليهود لنا (ص ١٤٨) .

وهكذا نجد عيسى يتخذ موقفا مضادا من مجتمعه ، حادا في البداية ، يمينها في النهاية ، رغم كل التحولات الخطيرة التي تقع أمام عينيه ، راح يفكر في نفسه فقط ، كأنه ما يزال يعيش في جو المجتمع السابق ، بنظرة الاستفلال ، وبالترقية في الأمة الشخصية غير المشروعة ، حتى ليدبح من ذلك عذاب الحرمان ، حرمان الاب من ابنته .

وقد قدم المؤلف في مجال الرمز أكثر من مثال : كالبرص على السقف ، والسيان في الخريف ، والكلاب والزلازل ، والحدأة التي تنوح ، وباسح الاصفية ، والشحاذ ، والسبعة بيد الأم ، وكان أبرز هذه الايئلة مثلا ، المثل الأول : الشاب الذي حصل عيسى للحاق به ، انه ، على عكس مذهب النافذ السوفييتي ، رمز للمجتمع الطيب الذي لا يسر السوء ، والذي يتحرك ليستريح تنقيب النسير لدى الخارجين عليه ، وليس رمزا لشيوعيته .

والمثل الثاني : صورة عيسى وهو يجلس في الظلام تحت شمال سمد زغلول انه يحاول ان يرجع للماضي ، ان سعد زغلول هو قيادة الفترة التي بدأت منذ العشرينات من هذا القرن ، وعيسى حين يجلس تحت شمات القنصل ويستند بظهره اليه ، كأنه يحتمي بشيء حين ينظر لخصمه في الجهة المقابلة ، وهو هنا المجتمع الجديد ، انه بدلا من ان يمين النظر في قيادة النضال العربي اليوم يمتلئ بقيادة اتين زيمنا وذلك يعني انفصالا كليا عن واقع الحياة المعاصرة (١١) .

وهناك انفصال آخر ، انفصال عن التمس ينشئ في « صابر سيد الرجي » بطل (الطريق) (١٢) لنجيب محفوظ التي صدرت طبعها الأولى عام ١٩٦٤ ، ان أنه « سيرة » خرج من السجن وقبل ان ثوبت تحل لفسر ابيه الذي حبلت به منه وهي فوادة ، ثم هربت منه ليتطوع كل شيء يمينها إلى الإبدع فيها عدا « صابر » الذي أخذ على حالته البحث عن ابيه دون جدوى ، وفي أثناء بحثه تحدث علاقات عاطفية وجنسية يقتل فيها مجورا وامراة .



وخلاصة ذلك كله : بطل كافر بالقيم ، محب للمال ، مولع بالجنس والعريضة والسكر والرص ، مؤمن بالوسيلة ، ولعله قد ورد ذلك كله من ابيه ، ويسأله سائل : انت مع الشرق او مع الغرب ؟ فيجيب : لا هذا ولا ذلك ، ثم يقول : اتا مع العرب (١٣) .
وهو مع ذلك تتنازع احبائنا ثقة بقراءة الكع عماها تكشف له السر الجهم ، سر ابيه ، وعلى الرغم من ان ذلك قد يكون فاتحة لباب روحاني يذلل منه إلى بعض الهدوء النفسي ، والرجوع إلى الذات ، لا سيما وان على بقية من سمة يردد شحاذ هذه الكلمات الروحية :

طه زينة منجي صاحب الوجه المتحي
التصاري واليهود
أسلوا على يديه (١٤)

رغم ذلك فانه كان متفهما بلا روية متهورا بلا هوادة في الانفصال من نفسه ماضيا في انتظار المعجزة ، معجزة ظهور ابيه الذي قبل انه يجوب القارات ، وتوزع بين « العالم » التي تشبه اياه في انها شيء لن يفكر به ، وبين كريمة التي تشبه امه في المنة والجريمة على حد سواء ، ولهذا فانه يقتل وينتهب ويغترب ان يمل فوادة كله : (المثل يصنع بان يجرع العالم ، ولكنه لا يستطيع ، هي كآبسه نيبا تعد به ، وفي انها حلم مسر التحقيق ، اما كريمة لماتعدا حي انه نيبا تبه من ممتة وجريمة ... الخ) (١٥) .

وقد تحركت افلام النقاد ازاء حركة البحث في الرواية ، ففسرها بعضهم بأنها البحث عن المجهول العظيم ، وفسرها اخرون بأنها البحث عن الخلاص وهو تيسر لاهوتي (١٦) ، مساعد على اللجوء اليه لجوء البطل صابر إلى قراء الكف أكثر من مرة ، ولهذا أطلق بعضهم على عالم الرواية « ميتافيزيقيا نجيب محفوظ » (١٧) .
وكما حار النقاد في الواقع حارت شخصيات الرواية فغسلبت الجرائد في الكتابة عن البطل بعد ارتكابه جريمة القتل ، وكتب عنه اساتذة الجامعة ورجال الدين ، منهم من قال ، ان السر هو الزواج غير المتكافئ بين عم خليل وكريمة ، وارجعهم بعضهم إلى فقر البطل وشروعوا يمحون اصل نشأته ، أما النفيون فقالوا انه مصاب بمقدة حب الأم ، وانه وجد في كريمة بديلا عن امه ، وارجع رجال الدين المسألة في جوهرها إلى الإيهام المقتود لدى صابر وانه (لو بذل في البحث

من أدباء الكويت

السيد عبد الجليل الطباطبائي (١٧٧٦-١٨٥٣م)

- شاعر ، وأديب ، وسياسي .
- ولد في البصرة عام (١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م) .
- غادر البصرة الى الزبارة في قطر ، حيث درس على يد ابن فيروز الأحساني ، الذي سكن الزبارة رحا من الزمن .
- كانت البصرة وقتئذ محط متن وحروب ، ومعرضة لهجمات القبائل المحيطة بها .. فلا يأمن ساكنها على حياته وحياة اهله .
- أخلص لآل خليفة (في البحرين) وكانوا به بررة ، مؤثرينه على سواه .
- وقد رحل الى المحرق بالبحرين عام (١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م) بعد ان استتب الامر لآل خليفة ، الذين عينوه كاتباً لحكومتهم ، او وكيلاً عاماً .
- لجأ في عام (١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م) الى الكويت اثر الشقاق الذي حدث بين امراء البحرين .
- استقر في الكويت ، حيث وجد مأمنه .
- لعبد الجليل الطباطبائي فضل في تحريك الحياة الفكرية في الكويت في اواسط القرن التاسع عشر الميلادي .
- اما ديوانه ، فقد طبع لأول مرة عام ١٣٠٠ هـ في مدينة بوبساي بالهند . ثم طبع فيها بعد عدة طبعات .

موافق فشل لا استطاع اغفائها وابرزها فشله في طبع حبيبته الادبية في المسابقة الادبية التي اقامها جميع اللغة العربية ، ثم تلقى نقد قاس حينما نشر انتاجه لأول مرة مع زملاء له عام ١٩٤٤ وقد توهم هو واصحابه — السحار ، وعادل كابل ، واحمد زكي مخلوف ، وباكتر — انهم وقوا بين فكي الفشل ، فكانت جلستهم المفضلة مساء كل يوم عند طلعة مشبهة يستندية قرب كوبري الجلاء بالقاهرة وكانوا يسمنونها (الدائرة المشنوبة) ، هذا الى اتجاهه الاكاديمي الى الفلسفة ، حتى لقد اوشك على الخس في الدراسات العليا حيث سجل موضوعاً لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ، ثم مايتصف به من الانطوائية (١٩) .

عن الله عشر ما بذله في البحث عن ابيه لكتب الله جميع ما طبع اليه عند ابيه في الدارين (١٨٨) .
وفلك كله لا يخرج من دائرة الفشل والشغل لهذه القاهرة ، طاعرة الفاشلين في روايات نجيب محفوظ ، سحار في تفسيرها وقد يخفف من ذلك ان هذه الشخصيات من بين الطبقات الشعبية والطبقات الوسطى من ابناء شعبنا ، وعائان الطبقتان على حد سواء لانت عنا وبملسا ومشقة في سبيل شق طريقنا وبهدت كما لو كانت ملكا للطبقات الاولى .
اما العالم الداخلي للكتاب فيتمكس على اماله الفنية ، وعلى الرغم من النجاح الكبير الذي لقيه الكاتب والذي لم يكن يخطر له على بال ، كما يصرح بنفسه ، فان في مطلع حياته

(١) خان الخليلى ص ١٠٣ .
(٢) الرواية ص ١٥١ والمونولوج يستمر بعد ذلك قويا لكنني اكفي بهذا الجزء فقط .
(٣) الرواية ص ١٥١ .
(٤) الرواية ص ٦ .
(٥) الرواية ص ٢٠ .
(٦) جريدة الجمهورية عدد الخميس ٢٨ من يوليو ١٩٦٦ ترجمة احمد ماهر عمل .
(٧) جريدة المساء عدد ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ .
(٨) جريدة الاهرام — الملحق الادبي عدد ٨ من مارس ١٩٦٢ .
(٩) مجلة الكاتب عدد ٢٢ من يناير سنة ١٩٦٢ (أزمة الوعي السياسي في قصة السمان والخريف) ص ٢٤ .
(١٠) يوميات الاخبار — بجريد الاخبار بعنوان (السمان والخريف أو مشكلة) القير متني ، في ١١ ديسمبر ١٩٦٢ .
(١١) على على ذلك الناقد السوفيتي ي. روشين — المرجع السابق الذكر .
(١٢) تصور حياة (العائلة) المصرية بسببية ، وقد صدرها الدكتور لويس عوض في بداية نشرها بالاهرام (الجمعة

١٩٦٥ .
(١٣) الرواية ص ٩٢ .
(١٤) الرواية ص ٢٦ .
(١٥) الرواية ص ٩١ ، ٩٢ .
(١٦) يشير الى ذلك صلاح الملا في الملحق الادبي للسام في ٢٢ من ديسمبر ١٩٦٢ العدد ١٠٧ ص ٣ .
(١٧) صبحي شفيق في الاهرام في ١٢ من يناير ١٩٦٥ .
(١٨) الرواية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .
(١٩) عن نكريات انبية — عبد الحميد جودة السحار — الرسالة الجديدة ١٩٥٦ الاعداد ٢١ وما بعدها .

لاعتاززه حياة الادب والفكر والفن .
كان استاذاً للغة العربية

بتجهيز انطاكية عام (١٩٣٣) واستاذاً
للغة العربية وادابها بتجهيز دمشق
الاولى عام (١٩٣٤ - ١٩٤٤) كما
اصبح استاذاً مساعداً للادب العربي
بكلية الادب بالجامعة السورية من
عام (١٩٤٧ - ١٩٥٠) وفي عام
١٩٥٠ شغل منصب ملحق ثقافي

بالسفارة السورية بمصر حتى عام
١٩٥٦ وفي (١٩٥٦) اصبح عضواً
للجنة التربية والتعليم بوزارة المعارف
السورية حتى عام ١٩٥٨ . وفي
عهد الوحدة بين مصر وسورية كان
مديراً للثقافة في تخطيط التعليم العالي
بالقاهرة بالوزارة المركزية . وشغل
مركز مدير للتجهيز الثانية شهوراً من
عام ١٩٦٥ وبين عامي ١٩٦٥
١٩٦٦ اوفد للحاضرة بالادب العربي

الى جامعة مكة وفي عام ١٩٦٦
اصبح استاذاً محاضراً للادب بكلية
الادب وكلية التربية بالجامعة
الليبية حتى عام ١٩٦٩ . وينسب
الوقت كان مديراً بوزارة التربية
بدمشق في (لجنة التأليف) وقبل نهاية
خدمته بسنتين طلب احالته على
المعاش واخيراً كان عضواً مراسلاً في
المجمع الملكي الادبي الاسباني .

وللفقيد ما يزيد على عشرين مؤلفاً
اشهرها « شعر الحرب في ادب
العرب » في العصرين الاموي والعباسي
الى عهد سيف الدولة (رسالة
دكتوراه) من الجامعة المصرية - طبع
دار الفكر العربي بالقاهرة عام
١٩٤٧ - ودار المعارف بمصر عام
١٩٦٣ ومن ثم اعيد طبعه بدار المعارف
عام ١٩٧٠ و « نظرات في ادبنا
المعاصر » طبع بوزارة الثقافة بمصر
عام ١٩٦٢ عدا شعره المنتثر في
المجلات وخاصة في مجلة الاديب
البيروتية .

رحم الله الفقيد واسكنه فسيح
جنانه والهم اهله وذويه الصبر
والسلوان .

حسان الكاتب

١٩٧٢/٣/٢٣ في دمشق - ومن
دمشق وادباء العرب في كل مكان
من وطننا الكبير ، بخالص العزاء
وصديق الدعاء ، لله تعالى ان
يسكن الفقيد فسيح جناته . وانا
لله وانا اليه لراجعون .



الدكتور زكي المحاسني فقيداً للأدب

ثم نال الاجازة في الحقوق عام (١٩٣٠)
وفي الادب عام (١٩٣٦) من الجامعة
السورية وصار استاذاً للغة العربية
وادابها في مدرسة التجهيز الاولى
بدمشق حتى عام (١٩٤٣) ، اذ اوقدته
وزارة المعارف السورية الى الجامعة
المصرية فحصل منها على شهادة
الدكتوراه الدولية في الادب عام
(١٩٤٧) بدرجة جيد جداً واسند
اليه تدريس الادب العربي بكلية
الادب الحديثة بالجامعة السورية
حتى عام (١٩٥١) اذ اوقدته لمصر كي
يكون ملحقاً ثقافياً في السفارة
السورية بالقاهرة وفي سنة (١٩٥٦)
اعيد الى دمشق وانتدب للعمل بلجنة
التربية والتعليم وفي وزارة التربية
والتعليم .

اقترب بالسيدة وداد سكاكيني
العربية اللبانية وانجبت له ولداً
وبنتين هم ذكوان .. وفداء وسام
المحاسني .. وكان اقترانه بهذه
الادبية المثلى وسبلة مشجعة له
للمضاء في حياته الادبية .. وكان ما
لهذه الكتابة من المنزلة العزيزة في
الادب العربي المعاصر باثماً

ان رابطة الادباء في الكويت
ومجلتها (البيان) - التي املها
واحزنها سقوط قلم معطاء آخر في
ساحة الفكر العربي الرحيمة - لتتقدم
من آل ادبنا الراحل الدكتور زكي
المحاسني - الذي توفاه ربه يوم

عرفت دمشق .. اديباً من
ادبائهم الذين نافحوا بقلوبهم منذ
ثلث قرن .. وخلصوا لهذه الرسالة
السامية .. فلقد كان الدكتور زكي
المحاسني الذي خسره الادب والادباء
يوم الخميس في ١٩٧٢/٣/٢٣ ...
اديباً شاعراً مريباً فاضلاً .. ولقد
خسرنا بفقدته علماً خفائاً من اعلام
الادب والشعر في العالم العربي .

ولد الدكتور المحاسني عام
١٩١١ لآب كان من كتاب الحكمة
الشرعية بدمشق .. ولم يضر برعاية
والده سوى سنتين حتى فقدته ...
وآلم ذلك ادبنا وحز في نفسه من ان
والده لم يترك له صورة يراه فيها ..
نعاث يتيماً ترحاه امه الحنون ...
ويحذب عليه عمه اخو والده ، وقد
كان والده من قبل قد عني بتربية عمه
وهو صغير . وحين نال الشهادة
من كلية الحقوق كان عمره يومها
اثنان وعشرون سنة توفيت امه قبل
ان تتال من كسبه ما ينسيها برارة
الليالي التي سهرتها من اجله ، فعاش
بعددها حزينا عليها بشعره ..

تلقى معرفته في تجهيز دمشق
ونال شهادة البكالوريا عام (١٩٢٧)

معتقدات العرب قبل الإسلام

بقلم / خزيمة علي الخزيو



اصح لم يكن الدين الموسوي تبشيرا كما هو عنا
المسيحيين من هذا لم يثائر العربي في الجاهلية بديانا
اليهود ولا ننسى بان هنالك عربا يهودا او شعرا
والسؤال الشاعر الجاهلي المعروف وما كان لوقته
الشاعر ابري القيس يكاد لا يخفى على احد ، (وبفض
ما كان المبشرين المسيحيين من علم ومن وقوف على الطب
والمنطق ووسائل الاتعاف وكيفية التأثير في النفوس)
استطاع هؤلاء اجتذاب بعض رؤساء القبائل العربي
فادخلوهم في دينهم او حصلوا منهم على الاثل عا
المساعدة والحماية ، ونلاحظ هنا ان بعضا من هؤلاء
الرؤساء للقبائل والذين هم شفعا من قبل الرهبان
والنساك النصارى نتيجة مداواتهم من امراض كانت
يشكون منها نرى ان هؤلاء النساك والرهبان نسبوا ذا
الى فعل المعجزات والبركات الالهية . حدث لشجع
سيد الضجاعة بان توسل احد الرهبان الى الله
يهب له ولدا فاستجاب له ولما رأى ضجعم ذلك
دخل في دين هذا الراهب و (تعبد) هو وافراد قبيلته
حتى انه يقال ان بعض الرهبان شفى بعض الملوك العرب
كالتعمان حينما كان يشكو من مرض عصبى الم به ، و
استطاع هذا الراهب ان يخرج الشيطان من جسد
الملك .

وقد كان هؤلاء المبشرون يتعرضون لكثير من المصاع
حتى انهم دخلوا اماكن نائية في شبه الجزيرة العربية
وجاوروا العرب وعاشوا معيشتهم واخذوا طراز حياة
ودع سمي هؤلاء المبشرون بـ (اساقفة الخيام) و
(اساقفة اهل الوبر) (٣) ، حتى انه ذكر ان مطر
(بصرى) كان يشرف على نحو عشرين اسقفا انتشر

ماذا كان العرب يعبدون قبل الاسلام ؟ وما هي
معتقداتهم آنذاك ؟ هم قوم موحدون ويعبدون الاله
لوحده ؟ ام ماذا كانوا يعبدون ؟
قبل ظهور الاسلام كانت هناك ديانات ومن ابرزها
اليهودية والنصرانية اذن كيف دخلت هاتان الديانتان
الجزيرة العربية ، وهل تأثر بهما العرب ؟ من المرجح ان
دخول اليهودية في جزيرة العرب كان عن طريق الهندية
والتجارة اما دخول النصرانية فـ (كان بالتبشير ويدخل
بعض النساك والرهبان اليها للعيش فيها بعيدين عن
ملذات الدنيا ، وبالتجارة) (١) . هنا فرق بين تسرب
اليهود والنصارى الى شبه جزيرة العرب ، وهو ان
النصارى لم يكن مجيئهم عن طريق الهجرة كما فعل
اليهود ، وانما يقصد التبشير اولا وللتجارة آثا اخر او
للمهتين بان واحد . وملاحظة اخرى على يهود الجزيرة
العربية ان هؤلاء لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى
خصائصهم التي يمتازون بها كما كانوا يفعلون بالانقطار
الاخرى وانما اسماء الاشخاص والقبائل هي اسماء
عربية حتى ان الشعر المنسوب الى شعرائهم كان يحمل
الطابع العربي والفكر العربي ، اذن هم يختلفون عن
العرب في الدين فقط حتى انهم عاشوا معيشة العرب
فلبسوا لباسهم وتصارهوا معهم ومن المرجح ان كلمة
(يهود) من اصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم كثير
من التقيود التي تحول بين عرب الجزيرة ويهودها ، ويظهر
الاسلام نرى ان اليهود تبشروا بحزية واسمعة لم يحصلوا
عليها في اي قطر اخر من الانقطار التي كانوا بها في تلك
الفترة .

وبما ان الديانة اليهودية تكاد تكون مغلقة او بعبارة

وكذلك القمر له اثره الفعال بها يبعثه من نور يهدي الناس الى الليل وهو يشعر الانسان بالباطنية ..
والانسان عبد هذين الجرمين في بادى الامر بصورة مجردة فلما تقدم وزادت مداركه في امور ماوراء الطبيعة تصور لها قوة غير مدركة مما جعله يتخيل انه لا يتكّن من ادراكها وانها يستطيع ان يرى اثرها من افعالها بالكون .

اذا كان العبرانيون قوم موحدون وكان في شبه الجزيرة العربية يهود قبل ظهور الاسلام ، فهل تأثر العرب آنذاك بدين هؤلاء ؟ « يرى بعض المؤرخين اليهود ان يهود جزيرة العرب كانوا في معزل عن بقية ابناء دينهم وانفصال ، وان اليهود الاخرين لم يكونوا يرون ان يهود العربية مثله في العقيدة . بل راوا انهم لم يكونوا يهودا ، لانهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ، ولم يخضعوا لاحكام التلود ولهذا لم يرد من يهود جزيرة العرب شىء في اخبار المؤلفين العبرانيين » (٦) ومن خلال هذا النص استخلص اميرين اولهما هو : ان الديانة اليهودية مخلقة بذليل عدم اعتراف يهود اوربوا بيهود الجزيرة العربية وعدم الاعتراف هذا لمصالح سياسية وليست دينية .. وكثيرا ما ترى ونسمع بان اليهود العرب في فلسطين المحتلة — الان — يمشون كغفلة شأنهم كشأن العرب المسلمين سكان الارض الاصليين ، والامر الثاني ان العرب في الجاهلية لم يتأثر بهذه الديانة لا بعيد ولا من قريب اللهم الا في نقل القصص التي كانوا يتحاورون فيها آنذاك

اذن ماذا كان العرب يعبدون في الجاهلية ؟ وكيف دخلت الاصنام ارض الحجاز ؟ .. (وكان الحارث هو الذي يلي امر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحي ، نازعه في الولاية وقاتل جرحه ببني اسماعيل — فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة ، وتولى حجلة البيت بعدهم . ثم انه مرض مرضا شديدا ، فقيل له ، ان بالباء من الشام حاة ، ان اتيها برأت . فانهاها فاستحم بها ، فبرا . ووجد اهله يعبدون الاصنام فقاتلها هذه ؟ فقاتلوا يستقي بها الطرونتنصر بها على العدو ، فسالهم ان يعطوه منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة) (٧) هل نستطيع ان نقول بان الحارث هو اول من جلب الاصنام الى الكعبة ؟ واذا كان الامر لا فكيف اذن دخلت الاصنام الى الكعبة وتطورت واصبحت على ثلاثة انواع وهي : (الصنم واللون والنصب ، فلما الصنم فما كان على صورة انسان من معدن او خشب ، واللون ما كان على شكل الانسان من حجر ، اما النصب فهو حجر غفل ليس على صورة معينة) (٨) والذي يجلب الاحتماء ان هذه الاصنام التي كانوا يعبدها — باشكالها المختلفة — هي ترمز للمرة غالبا سواء في الاسم

بين عرب حوران وعرب غسان .
كما ان للاخباريين قصصا عن انتشار الديانة النصرانية في اليمن وقد زعم هؤلاء ان النصرانية دخلت بتبشير رجل اسمه (فيميون FAYMIYUN) او (ميميون) وكان هذا الرجل من الزهاد السياح وقد اتصل به احد من اهل الشام واسمه (صالح) وتوغل هذان الرجلان في شبه الجزيرة العربية واختطفتهما سيارة من العرب وبعيها بنجران وكان اهلهما من بني الحارث بن كعب من بني كهلان وكانوا يعبدون (العزى) على صورة نخلة وبوجود (فيميون) بهذه المنطقة استطاع ان يقنع سيد القبيلة ببطلان ما هو عليه وقومه من عبادة وقد جاء بمعجزة اقمتمهم بصدق دينه حينما دعا ربه يوم عيد (العزى) ان يرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية ، فأتت الريح واستأصلت النخلة ، مما دعا اهل نجران ان يؤمنوا بدينه (وعين فيميون) رجلا ويدعى (عبد الله بن النابر) رئيسا عليهم وجعلهم تحت رعاية اسقف اسمه (بولس) (٩) .

الا ان (رنيان RENAN) قال (ان العرب هم مثل سائر الساميين وهم موحدون بطبيعتهم .. وهذا الرأي يخالفه فيه نفر من المستشرقين) (٥) . وهؤلاء المستشرقون لبعضهم كتابات عن حياة النبي (ص) وظهور الاسلام الا انهم يتحكمون تحكما في الاراء والنتائج ، وعلى سبيل المثال : تعظيم خبر او رواية قد تكون غير صحيحة في اصلها او قد لا تكون نهيت علي وجهها الحقيقي فهم في هذه الحالة يسوغونها تصويها لا يقبله عقل ولا منطق .

وكثير من الكتب التي بحث بها فجر الاسلام لم تنطرق لاديان العرب وعقائدهم قبل البعثة ولم ترد اشارة الى ما كان عندهم من كهانة وسحر واساطير وتقاليده وعادات مع العلم بان هذه الاشياء جدية بالبحث والتقصي لانها تظهر من مظاهر حياتهم العقلية ، واعتقد بان الباحثين تركوا هذه الناحية لما فيها من الخطورة في تاريخ العرب والاسلام ، واذا رجعنا الى نظرية — رنيان — عن عقيدة التوحيد عند الساميين) وقد استدل على نظريته هذه من دراسته للآلهة التي كان يعبدها الساميون ، يرى وجود كلمة — ابل — في لهجات الساميين وانهم يعبدون الها واحدا هو — ابل — الذي تحرف اسمه بين لهجاتهم فصار — يهو — و — يهوه — و — الوهم — عند العبرانيين و — اللات — و — الله — و — اله — عند العرب واصل الكلمة — ابل —

وقد اله بعض القبائل الظواهر الطبيعية لانهم توهوا بان فيها قوى روحية كائنة مثل الشمس والقمر والنجوم . وقد كانت الشمس والقمر اول الاجرام السماوية التي لفتت انتظار البشر لان الشمس لها اثر بارز في نمو الزرع وما تجلبه من الدفء ..

لمحة من

معتقدات العرب

قبل الإسلام

لا أعلم ابن أبي عقيل : فرغ أبو جهل يده — وكان فاحشا خبيثا — فلم يدرى لطفه خرج منها قرطى قالت : ثم انصرفوا ولم يدر ابن توجه رسول الله (ص) ، ثم أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين قالوا خيمتي أم معبد
هما نزلنا بالبر ثم ترحلا
فانفلق من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم
به من فمال لا تجازى وسؤدد
ليهن بني كعب مكان فئاتهم

ومقعدها للمؤمنين ببرصده (٩)
سلوا أختكم عن شأنها وانانها

فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
والهم هل هؤلاء الجن كانوا يتدخلون في عبادنا
الجاهلي ولهم تأثير خفي عليه ؟ مثل (القداح وقذفها)
وهل هناك علاقة بين الجن والكاهن أو الكاهنة ؟

وفي الختام (١٠) نرى ان الذين كتبوا قديما عن الحاجة
قبل الإسلام نجد ان كتاباتهم غلبت عليهم مسحة التعظيم
ولا يخلو من بعضها قالب الصنعة والتلقين حتى اقدم
هذه الكتب واكثرها جدية وامانة واشدها رغبة في
التحفظ والتحفظ مثل (سيرة ابن هشام) (تاريخ
الطبري) او (طبقات ابن سعد) نجد في هذه الكتب ولا
يكتفيها خلال الفترة التي سبقت الإسلام نجد ان الروايات
دونوها كما وصلت اليهم او نقلوها عن من سبقهم والذي
يدقق النظر يجد ان كثيرا مما ورد من روايات واخبار
عن حالة العرب في الجاهلية ، يجب على الباحث ان
يقف منها موقف التحفظ الشديد واذ يلمس فيها القصد
ظاهرا في التقليل من شأن العصر الذي سبق البعثة
النبوية من حيث الحضارة المادية والادبية والادراك
الاعتقالي . واذا رجعنا الى السبب المباشر نجد ان
المسلمين اخذوا بالهزيمة الإسلامية وقتوا بها جاء به
الإسلام من مثل ، وما حققه للعرب من وحدة وحضارة
فغضبوا صفحا عن كل ما سبقه وكانهم حين تغلبوا
من الوثنية وعفوا عن اتارها واعتبروا ان الامة العربية
ولدت بظهور الإسلام ميلادا جديدا .

ومن كل ما تقدم لا نجد مرآة صادقة لهذا العصر
(العصر الجاهلي) ولا مصدرا ثابتا لا سبيل الى الشك
فيه غير القرآن الكريم وبما انه نزل ليهتدي به
العرب ناهض النبي (ص) والبعض الآخر جالده وقاومه
ولا يكون ذلك الا لان الناس هموا القرآن ووقفوا على
اسراره ولا لما آبه من آمن وقاومه من قاوم .

وقد عرض القرآن للحياة العربية من جوانبها المختلفة :
الدينية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

او الشكل فلماذا لا يجعلون اصنامهم على هيئة رجل ؟
هل لانهم في ذلك الوقت ينسبون الانشاء الى امهاتهم .
ويجب الا تغفل عن بعض التسميات : للاصنام مثل : هبل ،
وزي الخلسة .. ومن المعلوم بان اهل الحجاز يعتقدون
في احوالهم المعيشية بالدرجة الاولى على التجارة وقد
ذكرها القرآن الكريم (رحلة الشتاء والصيف) فهم
يجوبون الجزيرة العربية شمالا وجنوبا وقد اتصلوا
بافريقيا عن طريق البحر الاحمر فهل هم قبل البعثة
النبوية تأثروا بآديان تلك البلاد التي مروا بها كالجوسية
والنصرانية .. من المرجح بانهم كانوا يرجعونهم من
رحلاتهم هذه يقصون القصص على ذويهم واقربائهم من
تلك البلاد التي مروا بها وهذه ما سهاها — القرآن
الكريم — اساطير الاولين .

ومن المرجح عن عرب الجاهلية اعترافهم بوجود اله
غير الاصنام واذا كان الامر كذلك ، فما عمل هذه
الاصنام اذن ؟ ولماذا لا يعبدون الاله راسا بدون هذه
الاصنام ، والجواب انهم يعتبرون هذه الاصنام رمزا
للتقرب الى الاله او بواسطة منها يعبد الرب فهم
يضربون بالقداح للمشورة ويأتي لهم الرد ان سلبا او
ايجابا . وكان العربي في الجاهلية اذا عقد امرا هابا
فهو يضرب القداح ليأتيه الجواب القاطع عن طريق
الكاهن فهل هذا الكاهن له تأثير روحي على الشخص
الذي يأتيه للمشورة ؟ واذا كان العرب في الجاهلية
يعتقدون بالجن وان لا اعتقادهم بهم تأثيرا عليهم سواء في
الخير او الشر لانه فيهم الصالح والطالح كما هو بالانسان
فهل الكاهن يساعد الجن في طريقة رمي القداح ؟ حتى
يأتيه الرد القاطع عن طريق هؤلاء الجن ؟ ومسألة اثبات
وجود الجن ، انهم موجودون ولا يتسرب الشك لاي
انسان في عدم وجودهم فقد ذكرهم القرآن الكريم في
عدة مواضع ، بل واقرآء آية خاصة بهم وهي « قل
اوحى الي انه استمع نفر من الجن » وكذلك النص الاتي
يؤيد وجودهم ولو انه متأخر نسبيا عن العصر الجاهلي :
« في هجرة النبي (ص) ، حدثت ذات النطالتين اسماء
بنت ابي بكر الصديق (رضى) قالت : « لما خفى علينا
أمر النبي (ص) اتاني نفر من قريش فيهم ابو جهل بن
هشام فخرجت اليهم : فقال : ابن ابوك ؟ فقلت : والله

المصادر والمراجع

- ١ - تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ج ١
- ٢ - تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ج ٦
- ٣ - تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ج ٥
- ٤ - ابن هشام - (٩١٨/١)
- ٥ - تاريخ اليهود في بلاد العرب - اسرائيل ولفسون
- ٦ - تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ج ٦
- ٧ - الإصمعي - (لابن الكلبي) تحقيق احمد زكي
- ٨ - عمر ما قبل الإسلام - محمد مبروك نافع
- ٩ - ثعلوب الذهب - ابن هشام المصري
- ١٠ - مكة والمدينة (في الجاهلية وعهد الرسول) - احمد ابراهيم الشريف .

فأما من الناحية الدينية فقد رد على الوثنيين ، ورد على اليهود ورد على النصارى والصابئة والمجوس وهو يمثل حياة عقلية قوية عند العرب ، فهو يمثلهم ذوى قدرة على الجدل والخصام ، ويشهد لهم في هذا بقوة الجدل والقدرة على الخصام والشدة في المحاربة .

والقرآن لا يمثل العرب أمة مدنية مستنيرة فحسب ، بل ويمثلها أمة غير معزلة لغيرها من الأمم فهي ليست تابعة في صحاريها لا تعرف العالم ولا يعرفها وإنما كانت على صلة وثيقة بجزائرها من الأمم الأخرى .

فالعرب إذن لم يكونوا على غير دين ولم يكونوا جهالا ولا غلظا ولم يكونوا في عزلة سياسية أو اقتصادية بالتقياس الى غيرهم من الأمم في ذلك العصر .

المسيح الجديد

قال أبوه وهو يموت : ابنت عن صفري الأرض ..
ليت له ألف فراخ ، ولبت له لسانا وفيه ترد الحقيقة ..

وإخفى في أعماقه أصابع الدينانيت نثية وطن ، ولن تجفف حتى الشمس رطوبة اللؤلؤ .. وعنفنا ترك الخفيم أحسن ان المسيح يعود .. سائرنا أبايه ، يثله ويحمل معه اللؤلؤ .. وحقيقا يسير كانت الخطى معه تسير ..

وفي الطريق نحدثنا .. عن الدم ... وعن البنايق التي لا تنور .. وشكا اليه عن بائع الدم الذي أسلم الثمن بلا تمييز .
وإين مضت سنيته الخطأ حين جسات لتلفظ على صدور أرفسه قذارات من أحياء ات بهم من أعماق الجحور .

حكى لسمحه من الدور والنساء . وعن خوفه من بلل اللؤلؤ ، فالمر قد غمر الأرض .
● وحينها تطايرت عريبات الظلار على منحدر اللؤلؤ وانتقل الآمن من جنبه .. خيل اليه انه يرى المسوح لم يعد يحمل صليبا .. بل يقبلا فتيل .

من احتقار وإنسحاق .. وخلف وراءه سرياء تضلل بضائى الضية ، ويتنوع رسوم العراق المترسبة على لسانها بتركاكث لن تكتف الا بعودته .

● بينا نجت ذات حواء عينا ينبت من ثقل الجبال حمر الشمر ، شخام الأجساد والحد ؟ فأغضبه جهلها بأنهم سرقوا إيمانته بالحياة . وعادت تسلكه عن إيمانه ماذا يدور ؟
فأطرق .. ترى أين نقد آخر جدار لذلك الإيهان الذواقي ! لئلا للسقوط ! أبل بعده ؟
لطالما شدته آثار الراحلين على العرب ، وإتباع بما استطاع من الدينانيت والوت . ثم اختزن في قلبه اكدا من الحد والغضب . وما زالت السرياء نساك من إيمانه حول أي شيء يدور ؟

● لا تدري أي سحر لثلك الشرفات الفارقة بالسعادة . لا تعي موضع الأرض من موقد الشمس .. جاءت قبل ميلاد الصراع والسقوط ، فهي لا تعي .. مينة القلب الا موضع لخبية نعتز وطن وأمة المخيم في انتظار التهاجر .
● كانت وحشة الغراء لا يبددها الا مسددا خفاء .. وصائل : « أين مسدور الأرض ؟ موضع السر ؟ » ..

وكان يدعو او يسير بلا معرفة .

● ما حاجتي الى بنديتي اذا كان جلها ما يعني بها في حفرة في الطريق ..
فأراني بحاجة الى كل جهد ..
الطريق يلثني ويثقل وسيل .. ودعوة من امرأة من وطني ترد مع خطاي ..

المخيم يتعد تدريجيا وعلى ان اصل في اللحظة الموعودة ، فنثال الدينانيت لا تنتظر ، والطار سهر خلف اللؤلؤ فهايد ليثق طلب القتل دون أي يمي ، ويجنون .. مستطير الإشلاء الى كل صوب ..

أنتكر فأندي وومسده بسلاح ورماس جديدين ، نقد اكل الصدا خزان بنديتي هذه حين كانت في الانتظار منذ سنين .
● هكذا تبدأ رحلة انسان نفس كل ما حيل من الحياة .. رمى السعادة الوهية التي فرق فيها بجهله كما كان يظن من قبل .

ليس المهم من يكون هذا الرجل .. ربما اتا او انت ربما الفمرد الذي يخفي في كسل صفر .. انه الصليب الذي ظل الى الأبد خلية لن تنفر للجلال الذي صنعته والسذي نمبه ليمسك الانسان عليه لانه آمن بشيء جيد ..

● سار هذا الانسان نسخته الامم الروحية وتغلغل من ساحل الى خضم .. وفيه حس بتقام ، ولا تكن كل البناسق لنث ما به

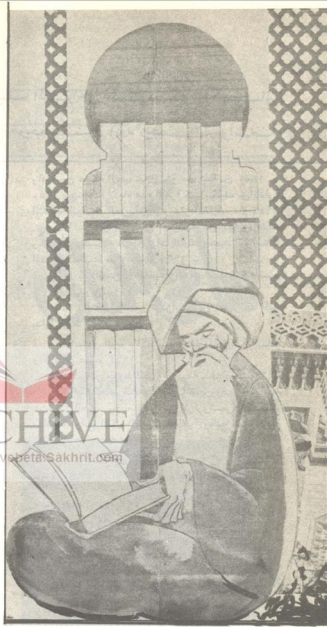
(بعد)

برع الجاحظ بقابلية على الجدل لم يماره أحد من معاصريه فيه . ويقوم منهجه فيه على نوع من التسلسل المنطقي — عفوا قد يظن ان هناك خطأ في الاستعمال أو خطأ طباعياً ، لكنني اعني (التسلسل) او (التخلل) كما يقول العرب عن خطبائهم البارعين : اذ وصفوا الخطيب بقولهم أنه يتخلل بلسانه تحتل الحية . هذا التسلسل هو قابلية الجاحظ على الجمع بين اللسان والعقل ، وكأنني به يتخلس سبل المنطق ومناهجه ليوصلك الى نتائج غير لازمة دائماً لمقدماتها . ومع هذا انت مقتنع بها بصورة من الصور ، وحسبك متعة عقلية ان الجاحظ هو الذي يأخذ بيدك اليها ويقودك متدرجاً بك من فكرة الى فكرة اخرى ، دون أن تكون في ذهنك مقدرة السبق ، أو أن تكون للمنطق العقل سرعة السبق إليها ، لأن المنطق قد يقتنعك إلا أنه لا يتمتعك ، والجاحظ يعطيك كلا الأمرين بمرتين ، فيخلس الطريق الى ذنك دون ان تحس . وقد يقاس الجاحظ هنا بالسفسطائيين وتقاس قابليته البلاغية ببلاغتهم (وان لم يستغلها تماماً كما فعل السفسطائيون) . ولعل الانسب ان نسمي هذه القابلية براعة في (التوليد) ، وهي براعة يشترك فيها العقل واللغة .

قد يضع الجاحظ مسألة معينة امام ناظره ، لكنه هل يكفي بأن ينظر اليها بالعين المجردة من زاوية واحدة ؟ . هذا ما لا يفيطه الجاحظ ، أنه يبدأ بها . من زاوية شمالية وينتهي ، بعد الدوران في جميع الابعاد والاتجاهات ، بالزاوية الجنوبية . وكلما نظر اليها من زاوية بدت له من خلال الاضواء والظلال التي يلقيها عليها اذهنه بمعنى ولون جديد مختلف . فماذا يفعل تجاه هذه الاشكال المتغيرة ؟ .

يبدأ قلمه بالتقاط هذه الصور بجميع دقائقها ، وكلما اثبت صورة بدت كأنها هي الحقيقة دون سواها . فهو موضوعي جداً في نقل تأثراته لكن الحقيقة عنده لها وجوه كثيرة ، وليست هناك صورة مطلقة لها . ومع ذلك فوجوهها المختلفة يجب أن يكون بينها تألف ما .

ان الذي جراً الجاحظ على هذا النظر الدقيق الى الامر الواحد من وجوهه الكثيرة ، ومن ثم التوصل الى معان جديدة قد لا تدرکها العين المجردة ، اجتماع قابليتين فيه : قابلية المتفلسف وقابلية الأديب



أدب الجاحظ بين التقليد والتوليد

(بقلم / الدكتور وديعة طه النجم)
جامعة الكويت

ولننظر إليه كيف يتسلل تسلا منطقياً فيؤكد الى النتائج التي يتوصل إليها ، فيولد ما شاء له عقله وقلمه أن يولد ، يقول :

« كنت اتعجب من كل فعل خرج من العادة ، فلما خرجت الافعال بأسرها من العادة صارت بأسرها عجبا فينبوكل كلها في باب التعجب خرجت بأجمعها من باب التعجب ، وقد ذكر الله تعالى التعجب في كتابه ، وقد تعجب رسول الله - صلعم - في زمانه وفي الناس يومئذ الناقص والوافر والشوب والخالص والمستقيم والمعوج . . . (١) .

وهذا اشبه بالقول ان الشاذ على القاعدة ، حينما يزيد عن حد معتاد ، يصبح هو القاعدة ، فينتفي عتدث وجودها ، وهذا منطق سليم محض ، اذا ما سلمنا بعدم وجود قاعدة مطلقة مجردة يقاس عليها . وبالتالي فعنى ذلك ان الشر والخير هما بالغلبة ، وليس هناك مقياس عام لهما ، ويصح ان يكون احدهما هو القاعدة دون الآخر .

لكن هل يترك الجاحظ هذا المعنى عند هذا الحد دون أن يولد منه افكارا فرعية هي الغاية التي يهدف إليها . كلا ، بل يمضي قائلًا :

« اعلم ان الله تعالى قد مسخ الدنيا بخلافها وسلخها من جميع معانيها ، ولو سلمنا كما مسخ بعض المشركين قودة أو كما مسخ بعض الأمم خنازير ، لكان قد بقي بعض أمورهما وحسب عليها بعض أعراسها ، كبقية ما مع الفرد في ظاهره من شبه الآدمي وبقية ما مع الخنزير في باطنه من شبه البشري ، لكنه - جل ذكره - مسخ الدنيا مسخاً متتبعاً ومستقصياً استقصافاً ، فبين حالها جميع التضاد ، وبين معنيها غاية الخلاف (٢) .

اذن فالخلق ضائع ، لأن الدنيا تجري على خلاف ما هي في الاصل . والجاحظ هنا يشكو ضياع المفاهيم وفقدانها ، ولذلك فالمصيب هو المخطيء ، لأن القاعدة التي اصبح يقاس عليها هي (الشاذ الذي عم فأصبح قاعدة) . فهل اجمل من تخريج كالأذى يفرعه الجاحظ بقابليته الجدلية البارعة :

« فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول ، فالعجب ممن يصيب وهو مغفور ويقول وهو منحوع ، فان صرت عوناً عليه مع الزمان قتله ، وان امسكت عم فقد رفدته ، ولنا نريد منك التصرة ولا المعونة ولا التأنيس ولا التبرية . وكيف اطلبك ما قد انقلعه سببه واجتث اصله ؟ وقد كان يقال (من ظلم عيباً وجده) ، هذا في الدهر الصالح دون الفاسد ، فان انصفت فقد اغربت ، وان جرت فلم تعد ما عليه الزمان » (٣) .

لقد وجدت المعتزلة في الجاحظ معيناً لا يتضبط فجعلته المتكلم الناطق باسمها . وليس السبب هو ان الجاحظ كان من احسن المتعمقين المنزهين لبيادى الاعتزال ، بل لأنه كان من احسن الناس اقامة للحجة وتقضها في نفس واحد . ولذلك فهو اشبه أن يكون (جدار الصين) امام خصوم المعتزلة ، لا يعرفون من ابن باتونه ، لأنه قتل الحقائق نظراً وتلاعياً فلم تعد هذه الحقائق تخيفه أو تقف امام ذهنه المتوقد . والسبب المهم في هذه المواقف هو ان الجاحظ لم يكن فيلسوفاً ولا متكلماً مختصاً

تماماً ، رغم ولعه بالفلسفة اليونانية وبالاعتزال . فلم تضد المباحث الفلسفية البحتة براعته الأدبية وقابليته الفنية ، بل لنقل انه اشبه بأصحاب الهواية دون الاحتراف . فليس بغير أن ينقل تذوقه الفني الى مباحثه العلمية والكلامية فيحفظ بين منهج العلوم الذي يقوم على الموضوعية البحتة والتدقيق الفني الذي يدخل فيه العنصر الذاتي والعواطف الفردية .

ولما كيف ينتمى للجاحظ مثلاً ان يصف فرخ الدجاج بالولم لأنه لا ينسجم مع مجموعة الفراخ التي فقس بينها ، هذا والجاحظ هنا في معرض بحث علمي ! . وكيف ينتمى لهذه ان يولد من المعاني الشاملة ما يجعله يقول - في صدد بحث علمي أيضاً من كتاب الحيوان - بأن ليس كل ما يطير من الكائنات فهو من الطير . وهذا حق ، لأن الخشرات تطير وهي ليست من الطير . لكن الجاحظ لا يكتفي بهذا ، فهو يقول ان جعفر ابن ابي طالب وهو جعفر الطيار ، يطير في الجنة وهو ليس بطائر ! . (٤) .

ان القابلية على التوليد وسيلة من وسائل الجاحظ للخروج على النظرة التقليدية البحتة للأشياء وهي طريقته لبحث الجزئيات التي تقتضي - أو لا تشمل - عليها الفكرة العامة . لننظر إليه كيف يفرغ من النظرة القائلة ان (الانسان عالم صغير وهو سليل العالم الكبير) جزئيات توشك بعد حين ان تصبح مذهباً نظائراً ولغوياً . ان علاقة هذه الجزئيات ، من اللطف والدقة مسا يجعلها غير ظاهرة للعين المجردة .

ان الإنسان عند الجاحظ يجمع فيه كل ما في العالم الكبير من عناصر الطبيعة والحيوانات لا تتجمع في كائن آخر . ففي تكوينه شيء من العناصر الطبيعية الموجودة في الكون وفي قابليته شيء من قابليات الموجودات الاخرى « وسوء العالم الصغير لأنهم وجدوه يصور كل شيء بيده ويحكى كل صوت يفهمه . . . وفيه الصفراء وهي من نتاج النار ، وفيه السوداء وهي من نتاج الأرض ، وفيه الدم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو من نتاج الماء . . . » (٥) فالإنسان اذن بين الموجودات كلها ، له قابلية الاشتراك معها في بعض خواصها لأن عناصره المكونة له هي عناصر الطبيعة الأولى . وهو بين الموجودات جميعاً يستطيع ان يحكيها ، لا في افعالها وحركاتها بل في اصواتها أيضاً . والجاحظ ، وان كان يخطئ بين الجد والمزول في هذا المقام ، يصل بنا الى نتيجة مهمة . يقول - في المهارة في المحاكاة :

« لقد كان أبو دبوبة الزنجي ، مولى آل زياد ، يقف بباب الكوخ بحضرة المكارين ، فينطق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب بهير إلا نطق . وقبل ذلك تسمع نقيق الحمار على الحقيقة فلا تبعث لذلك ، ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه . وقد كان جمع جميع الصور التي تجمع نقيق الحمار فجعلها في نقيق واحد . وكذلك كان في نباح الكلاب . . . » (٦) . وكأنني بالجاحظ يذهب هنا الى أن التقليد المثقن للطبيعة ابعاد اثرها من الطبيعة نفسها .

ولنتنقل الى الجزئيات الاخرى المهمة من الفكرة الاساسية وهي أن الانسان عالم صغير . ان قابلية الإنسان على المحاكاة عند الجاحظ ترتبط بقدرته الإنسان على تطوير اللغة وقابليته على الكلام . وهذا لا يتأتى بترك الشماثل على سجيته بل يأتي بالمراس والمران ، يقول :

« وإنما نبهنا وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأمم ، لما اعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبطول استعمال التكلف ذلت جوارحه لذلك . ومضى ترك شماثله على حالها ولسانه على سجيته ، كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه . . . ألا ترى ان السدى اذا جلب كبيرا فانه لا يستطيع إلا أن يعمل الجيم زايًا ولو اقام في عليا تميم ، وفي سفلى قيس وبين هوازن خمسين عاما . . . » (٧) .

وبيعر الجاحظ عن اعجابه بالحاكية الذي يستطيع ان يحكي الفاظ الأمم المختلفة حتى يجدد كأنه اطبع منهم . وكان الجاحظ ظل يدبر هذه الفكرة في نفسه حتى انتهى به الامر الى نتيجة ذات خطورة في ادبه . انها فكرة المحاكاة تبرز من جديد حينمما يميز الجاحظ بين لغة الحاضرة ولغة البادية .

على أن الفنان البارع هو الذى يدرك قيمة هذا الفرق لتطوير لغة الابد فيخضع هذه الظاهرة اللغوية ، والحضارية ، لفئة الادبي ، فاذا حكى أهل البادية جامك بالفصحى في احسن صورها وفخاعة مخارج حروفها . لكنه إذا نقل نواذر أهل الحاضرة لحق فيها كما يلحنون . وهذا ما فعله الجاحظ الأديب بلغة الأدب ، لا سيما أدب الحكاية . وكانى به يعرض علينا قابليته على نقل الطبيعة الى لغة الإنسان .

ومما تجدر الاشارة اليه أن أدباء القرن الرابع الهجرى الذين اقتبسوا مذهب الجاحظ الواقعي في تصوير الحياة يصبون اهتمامهم الخاص على هذه القابلية في محاكاة لغة الكلام اليومية ، كظهر من مظاهر الواقعية في الأدب . وكان من ابرز هؤلاء ، كاتب يظهر لنا في أشر أدبي واحد يصل اليه عنه ، هو (حكاية أبي القاسم البغدادي) التي سعى كاتبها نفسه باسم (المظهر الأزدي) - ويرجع انها لأديب بارز في هذا القرن . يقول هذا الرجل في مقدمة حكاياته أنه سلك في نقلها مسلكا واقعيا ، فلم يدع جانباً مستحسن أو مستهجنًا في أخلاق البغداديين أو لغتهم ، إلا صوره في شخصية أبي القاسم هذا . والطريف أن الكاتب يستشهد على مذهبه ، بالجاحظ وبكل ما جاء عنه من أقوال في التقليد والمحاكاة ، منتهيا الى أن الإنسان (عالم صغير وهو سليل العالم الكبير) .

هذا جانب واحد مما لعبه التوليد من دور في تطوير المفاهيم الادبية على يد الجاحظ . وكنت أود أن أفضل في شواهد توضح الفكرة ، لكنها العجالة .

(١) الجاحظ : ر . التزييع والتوير (دمشق سنة ١٩٥٥) ، ص . ١٠٤ .

- (٢) المصدر نفسه .
 (٣) المصدر نفسه ص . ١٠٥ .
 (٤) الجاحظ : كتاب الحيوان ٢ ص ٣٤٠ ، ١ ص ٣٠
 (٥) كتاب الحيوان ١ ص ٢١٢ - ١٣
 (٦) الجاحظ : كتاب البيان والتبيين (ط هرون سنة ١٩٤٨) ١ ص ٦٩ - ٧٠ .
 (٧) المصدر نفسه .

أصوات أدبية



في المكتبات

المحقق الأدبي
 لمجلة
 الراصد
 الصادرة

عن جمعية المعاصرين الكويتية

مالك حداد .. مغني الأرض الجزائرية

- في قصائد مالك حداد: بساطة الجزائر وشفافيتها، ونضال الجزائر وجهاً ومعانها .
- " أنت تكتب لأنك تحب .. وإذ لم يكن لديك ماتحب، فاطرح قلمك ... " هذا هو دستور شاعرنا !

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الفرنسي ، وأن يجعل — في تسله للاستيلاء على جوهر الشخصية الجزائرية وطمس معالمها — الفرنسية لفئة البلاد الرسمية على مدى أكثر من قرن من الزمان .. ولكن الغريب حقاً أن يظل معظم انتاج هؤلاء الكتاب الجزائريين في منطقة الظل بالنسبة للقارئ العربي. بعيداً عن الإهتمام والدراسة ، محجوباً خلف استنار اللغة الفرنسية التي يعتبرها أغلب الكتاب الجزائريين منفاهم الإجباري ، حيث يتزقون بين رغبتهم الحادة في هجرته ، وعجزهم الكثيب عن ترك مرافقه دونها عودة .. ويزداد الأمر غرابة إذا ما علمنا أن هذا الأدب الجزائري ، ورغم مغنى اللغة أو ربما بسببه ، من أكثر آداب المنطقة العربية نضجاً ومن أعمقها بلورة للحس القومي ومن أشدها التصاقاً بطبيعة اللحظة الحضارية التي تعيشها أمنا العربية اليوم واقدرها على بعث العناصر الأصيلة والمقاومة في الوجدان العربي الممزق والمهزوم .. بل أنه في فنون معينة مثل الشعر والمسرح يقف في الطليعة شكلاً ومضموناً .. ويستطيع أن ينقذ هذه الفنون في الأدب العربي من عشرات العثرات المزمنة التي طالما تردت

ليس غريباً أن ينبثق من فوق الأرض الجزائرية الجائية تحت اقدام الاستعمار الفرنسي كل هذا الطابور الهائل من الكتاب الجزائريين : كاتب ياسين ومالك حداد ومحمد ديب ومصطفى الأشرف ومحمد العيد ومولود فرعون وموسى الأشتر ومراد بوريون ومولود معمر وآسيا جبار .. وغيرهم .. فقد انجبت روسيا الظلم والقيصرية عدداً كبيراً من الكتاب الموهوبين لم تتمكن روسيا الثورة من انجاب قراء لهم حتى اليوم . وانجبت فرنسا المقاومة الجائية تحت اقدام الفاتح النازي في اعوام قليلة ، ما لم تنجبه فرنسا الاستقلال في عشرات الاعوام .. فالآداب تزدهر وتتفتح عندما يحدق الخطر من كل جانب .. وعندما يصبح الهدف أمام الكتاب شديد الوضوح ، وعندما تتحدد بصراحة أمام أعينهم حدود جبهتي الصراع .. وليس غريباً أيضاً أن يكون كل انتاج هذا الطابور الطويل العظيم من الكتاب الموهوبين باللغة الفرنسية . فقد استطاع الاستعمار الفرنسي منذ وطلت اقدامه أرض الجزائر عام ١٨٣٠ وعلى مدى أقالمة الطويلة فوق تراها أن يصبغ كل شيء باللون

ستقولون .. ان مالك هذا يستخدم كلمات فرنسية
وما اهيبة ذلك !!

ان كلمة الجزائر ...

يمكن ان يقال باللغة الصنية

بلى يا اراجون .. نلك هي مأساة اللغة

لو كنت اعرف الفناء لتكلمت العربية

فالعربية عنده اغنية .. صوت بلاده العذب ..

شارة الجزائر التي لم ينسها ابدا ، ولا استطاع وهو

يدرس الحقوق في فرنسا ان يبعد عن عقله صورتهما

وهي جاثية تحت اقدام الاستعمار الفرنسي الكتيب تلعق

جراحها ... بينها هو محاصر في فرنسا بالعادات

الغريبة المفروضة عليه ..

هناك .. صنع الجحيم

الذي يقيمه صانعو المفاهيم السود

المذاق المر لعادات غريبة تفرض بالقوة

هناك كل هذا

وبالرغم من كل هذا نعيش

اني اتزق صجرا

كلما تفكرت اني بعيد عن الجزائر

فمأساة بلاده توجع في اعماقه بالرغم من بعده

عن مواطني الالم والاسى والعذاب .. يعيشها كل

لحظة .. وبعد لحظة ميلاده الحقيقية ، يوم شربت اعماقه

كل مأساة بلاده عندها تجمعت في ذنبه صطيف ...

لذلك كما يجيب كلما سئل عن يوم ميلاده «ولدت في ٨

مايو عام ١٩٤٥ » .. فبرغم حرب السنوات الثماني

والشهداء المليون .. ووبرغم مجزرة ساقية سيدي

يوسف ، ووبرغم عمليات الابادة في الغابات .. برغم

كل هذا ما زالت الجزائر تذكر بالدموع والدماء يوم ٨

مايو عام ١٩٤٥ .. فقد عاشت يوما اشد ايام

حياتها شراوة وعنتا .. فقدت في يوم واحد خمسين

الف قتيل على مذبح الخديعة في صطيف .. قتل خمسون

الفا كالمشاه لانهم طالبوا بالاستقلال .. وسجن مثل

هذا العدد في يوم واحد .. لانهم وثقوا في وعود

المستعمر ، تآمروه في الحرب العالمية حتى انتصر ..

وعندما طالبوا بالثمن ، بالاستقلال المتفق عليه .. ردت

عليهم فوهات الدافع دونها رحمة .. دكت فوق النساء

والانفصال البيوت .. وسدت جثث الالاف الشوارع ..

وتجمعت الدماء انهارا .. انهارا حقيقية لا مبالغات

كلامية .. في هذا اليوم الدامي الرهيب ولد ليس مالك

حداد وحده ولكن روح التمرد والالم في الشعب وفي

الادب الجزائري .. ولدت اشياء كثيرة في ذلك اليوم

الدامي من مايو ..

فيها حتى الفتها ، وان يخوض بها وبمعها مغامرة
جديدة في الشكل والمضمون . وان يثيرها بتجربته الغنية
التي نستشقق فيها بحق عبير الارض الجزائرية .
والتي تنطيس عبرها برغم اللغة الفرنسية كافة مقومات
الروح العربية الاصيلية المناضلة .

لكل هذا يكون من الغريب حقا ان نترك هذه
الاداب العربية معزولة خلف اسوار اللغة الغربية دونها
ترجمة او دراسة ... فالتنازع التي ترجعت من
هذا الادب الكبير شحيحة للغاية اذا ما قورنت بالكلم
الوغير الذي كتبه ادباء الجزائر باللغة الفرنسية سواء
في مجال الشعر او الرواية او المسرح او النقد او
الاقتصاد . والدراسات التي حاولت ان تتناول هذا
الادب بالتعريف او التقييم قليلة هي الاخرى ، بالرغم
من ان ترجمة هذه الاداب ودراساتها لن تؤدي فقط الى
فتح عين القاري العربي على بعض كنوزه ، بل ستساهم
ايضا في بث دماء الحياة داخل عروق الادب العربي
والزج به في افاق جديدة . كما ان دراسة هذه
الاداب التي ساهمت بفعلية في معركة التحرير الوطنية
سوف تثرى وجدانات القاري العربي وتأسو جراح
هزيمته لكل ذلك علينا ان نركز اهتمامنا على هذا
الادب ترجمة وتحليلا ودراسة .

ومالك حداد الذي نتحدث عنه الان واحد من
ابرز هؤلاء الكتاب الجزائريين واغزهم انتاجا . ولد
في مدينة قسنطينة عام ١٩٢٦ . وتلقته اللغة
الفرنسية منذ مولده ، وعبر كل مراحل تعليمه في
الجزائر ، ثم ما لبثت ان تلقت فرنسا نفسها عندها
اكمل دراسته الثانوية لينهي فيها دراسته الجامعية
ولينال ليسانس الحقوق منها . ولكنه وبرغم تفوقه
في الدراسة طوال هذه المراحل الدراسية يؤكد انه
لم يتعلم من فرنسا سوى البتم .. ولم تغرس الفرنسية
في قلبه سوى الاحساس بالزيف .

لا تليني اذا ما صدمتك رطاني

لقد اراد لي الاستعمار ان احمل الكفة في لساني

ان اكون معقود اللسان(١)

هكذا يقول والاسى يمزق قلبه .. فبرغم انه كان
يتعلم كل شيء بالفرنسية . الا ان هذا لم ينس ابداء
اغنيات امه العربية حول سريه في المهدي .. ولم ينزع
من اعماقه صوت الصبية الساخنين بالعربية ومسط
شوارع قسنطينة او على الجبال القريبة منها ..
لقد ارادوا له النفي في هذه اللغة الغريبة .. لكن اتراهم
نجسوا ؟ .. اسمعوا صرخاته لتجيوا انتم بانفسكم
.. افراقوا اشعاره وابحثوا فيها عن فرنسا .. لن
تجدوا سوى الجزائر ..

في ذات يوم .. اطل ٨ ايار ..
احتاج الانسان ان يدفع كل هذا الثمن لكي يفهم ؟
احتاج لكل هؤلاء المعلمين ليتلقى هذا الدرس ؟
وكل هؤلاء الموسيقيين ليعب الموسيقى ؟
في ذات يوم اطل ٨ ايار ..

الذي لم يبق بعد وهو في ريق الشباب طعم القبلات ..
او بالاحرى طعم الحياة ..
انتي يتيم القبل ..
احس هذا اليتيم كلما لاح موطن الفجر بعيدا عن عيني
ما اقسى ان يكون الانسان يتيم القبل ..

واليتيم الذي يعيشه الكبار اقسى الف مرة من يتم
الصغار واشد منه مرارة انه يتم الوحدة وانفاد الرفاق
الذين اختطفهم الموت فوق الجبال او صرعتهم العذابات
بين جذران السجون الوحشية الرطبة .. هؤلاء الرفاق
الذين بذلوا ارواحهم من اجل غد لاتنسه اقدام الاحتلال
تهوم ارواحهم حول شاعرنا كل لحظة لتشعره بثقل
وجوده غير المرير في هذا العالم .. لماذا يعيش هو بينما
دفع اسدقاؤه الثمن .. ؟ لماذا لم يدفع مثلهم ثمن كل
نسبة حرة يتنفسها الاطفال فوق ثرى الجزائر اليوم ؟
اننا نعرف ان كل عشرة يتنفسون اليوم هواء الجزائر
الحرّة بارتياح ، يفعلون ذلك لان هناك واحدا قد
ضحي من اجلهم ، واحدا تلوح روحه كالحارس القوي
وكالكابوس في الان نفسه ..

والان قد تجسّدوا روحا كبيرة
لقد اصبحوا وطني

ان ارى بعد اليوم رفيقي عامل المتجم
كانت اقباسه تضيء النظرة المرة في عينيه
ان ارى رفيقي الجزائر
ولا رفيقي معلم القرية
اني استبقيهم بعيرا

ليقائي بعدهم على قيد الحياة
اني اشد ينما من ليلة بلا قمر

ها هي الاعداد الوفيرة من الضحايا تجعل مجرد
البقاء على قيد الحياة نوعا من الذنب الذي يدفع
الشاعر الى الاعتذار عنه .. فيا لها من مأساة .. ويظل
هذا الاحساس بالذنب يطارده لانه برغم مشاركته
في الحرب لم يشارك في دفع الثمن .. ولان هذا
الاحساس قد استحال الى واقع موضوعي يجسده
ذلك اليتيم وتلك الوحدة الناجمة على غياب كل هؤلاء
الرفاق التدامي ..

اني احصي رفاقي ..

لقد مات رفاقي ..

اني لاتوقف عن المدد

عندما اصل الى اللانهاية في حساب رهيب

اني اتوقف عن المدد

عندما تتحول الكلمات الى ارقام

وهؤلاء الشهداء الذين لا يمكن حصرهم لم يكونوا
ابدا غرباء عن الشاعر .. انهم امله وعشيرته .. كل
حياته التي اقتض المستعمر انهما .. ولم يكونوا
ابدا مجرد ارقام او كلمات رثاء ..

في هذا اليوم ومن بشاعته الرهيبة ولدت الجذوة
التي انطلقت بعد ذلك بتسع سنوات ، فجر اول نوفمبر
عام ١٩٥٤ ، شرارتها الاولى .. ولد الحقد العظيم
يومها .. ليس ذلك الحقد الذي ينفر كالابتذال .. ولكنه
الحقد المعامل ..

نعم .. انا انضج الحقد

ولكن حقدي عاقل .. كوجبة طعام ضرورية ..

ومن هذا الحقد المعامل المنطلق من آلاف الاحزان
وعين المستعمر وضراوته ، انطلقت الشرارة
الاولى للثورة الجزائرية وللادب الثوري الذي رافق
خطاها حتى حققت واحدا من اروغ انتصارات الانسان
في عمرنا .. منه ارتوت كل كتابات مالك حداد ...
رواياته الاربعة (الاتطباع الاخير) و (ساهديك غزالة)
و (التليذ (الدرس) و (رصيف الورود لم يعد يجيب)
.. وديوانه (الشقاء في خطر) و (اسبع واناديك) ..
في كل هذه الكتابات تنلمس معالم هذا الحقد المعامل
كوجبة طعام ضرورية .. الحقد على المواقف
الحضارية الجائرة التي اضطرت الجزائر لان تجشو
تحت اقدام فرنسا .. بينما كل ما يريده لها مالك حداد
.. هو ان تقف لتصافحها .. وان يعيش سواي في سلام
اخوي دونما ضغينة ..

فالحلم بالسلام هو الحلم الاثير الملح الذي يتردد
دائما في كل اشعار مالك حداد وفي رواياته .. الحلم بان
ترغرف حباية بيكاسو البيضاء ، ليس على ارض بلاده
فقط ، بل على كل بلاد العالم .. الحلم بان يختفي اليتيم
من العالم وان تنتهي الحروب .. فالاشجار لم تخلق
لتصنع منها كعوبا للبنادق .. ولا خلق الاطفال كي
تجرعوا طعم اليتيم ومرارته ..

سنقول لاطفالنا الذين ذاقوا اليتيم الف مرة

ستجيبون اطفالا يعرفون اباؤهم

طفالا يستطيعون ان يقولوا

بطني هو الانسان ..

وليس اليتيم في عالم مالك حداد من نصيب الاطفال
حدهم .. انه يرين على كل شيء طالما كانت الشروط
لسلبية للحياة غالبة من فوق ارض بلاده .. يعيشه
لطفل الذي اختطف الجيل والده .. كما تعيش المرأة
التي فقدت في المجزرة .. زوجها .. كما يعيش الشاب

لم يكونوا مجرد كلمات ، مجرد ارقام او اسماء
كانوا الايام والسنين من حياتي
الطعام الذي تقاسمناه
ولصافة الضجر
كانوا يعرفون اطفالي
كانوا رفاقي

ما اكثر ما تحدثت اليهم
انهم يرضون في المعجزة

والمعجزة فتعطي لهم ثرايعها

ليصبحوا هم انفسهم المعجزة .. المعجزة الانسانية التي
صاغت واحدا من اكبر انتصارات الانسان العربي في
عالمنا ، والتي فتحت الطريق امامه ليصنع عشرات
الانتصارات الاخرى بعدما اكدت له ان طريق الحرية
هو طريق الفداء .. ومن هنا يهتف الشاعر ..

وقومنا ايها الاصقاع

فالجبل على صواب

هؤلاء الموتى الذين تظلمك حمايتهم

لهم وحدهم السلطة

لهم وحدهم الحق

بان يرسوا لنا طريق الحياة

هكذا يغني مالك حداد لمنطق الجبل ولمنطق حرب

التحرير لانه هو المنطق الحقيقي والصائب . هو منطق
هؤلاء الذين رفضوا الازعاج وصبوا على المشاركة
في صياغة غد لا تدنسهم اقدام الاحتلال .. وهو منطق
لا يتعارض ابدا مع منطق عشق السلام والحب الذي
يتخلل ديوان مالك حداد كله فهناك حداد لا يغني الجرب
من اجل الحرب ولكن الحرب من اجل السلام .. ومن
هنا فانه يصرخ ..

ارابت اشد سخفا من لقيبي في الحرب

انه الحمامه ..

يا للبهزلة !

وليست هذه هي المهزلة الوحيدة التي عاشها
الجزائري قبل الاستقلال .. فالانسان لم يخلق للحرب
بل خلق ليغني .. ليميش البهجة والفرح .. فماذا ما
تحولت حياته الى بندقية ، اذا ما طارت من سمائه
العصافير ، فان حياته تصبح اشد مرارة من العدم
ذاته .. ومرارة حياة الانسان الجزائري لا تروي من
كل هذا فحسب . بل ايضا من احساسه بالزيف
والخواء الذي يسيطر على عالمه الذي يفقده الاحتلال
الاصالة .. فحتى اكثر الاشياء التصالفا بالذات
الجزائرية قد لمستها اصابع الاحتلال .. فاخته لم تعد
تلبس الخمار واه ، لا يملك ان يتأذيها باسمها الحقيقي .
لقد استحالت فوق الورق الى شيء غريب اخر ..
الى لفظة فرنسية ..

لقد فقدت برنسي وبندقيتي وقلمي

لقد حملت اسما اشد زيفا من مظهري
وهذه شقيقتي لا تضع على وجهها الخمار
يا الهي ...
ما اشد وطاة الظلام في عيني هذه الليلة
اماه .. يامه

هل يمكن ان يكون اسمك « ما مير » Ma Mère

ان الواقع من حوله ينضج بالزيف والغربة ..
وهو يحقد عبر استار الزيف الكثيفة تلك ليصل الى
جوهر الانسان .. وعبر الانسان يحقد في معشوقته
.. في الجزائر .. هي الارض والوطن والام وكل شيء
هي ... وعندما يتسائل عن ابسط الامور واعتدها ..
تلوح هي دائما خلف كل تساؤلاته ..

قولوا لي ..

ما الذي يبرر كل هذه الالام ؟

ما الذي يبرر مائة الف حماقة ؟

مائة الف جريمة ؟

قولوا لي .. لماذا يعيب المرعوبون كل هذه الخمر

لماذا يرتعدون من الاسود الحبيسة في منفاها ؟

ولكن .. اخبروني قبل كل شيء

كيف حال الجزائر ؟

وليست كل اغنيات مالك حداد عن الجزائر الجائبة
تحت اقدام المستعمر .. ولكنه غنى ايضا للجزائر
الفرحة الجذلة .. للجزائر التي ترمف فوقها ربابات
الحرية والتي تعمل ببساطة من اجل الغد الذي يسوده
الفرح ويوميئ فيه العمق والقيم والحزن والفضاب ..
والفرح عند شاعرنا ليس كلمات سرور زائعة ،
ولكنه الحياة نفسها .. الحياة عندما تسير في خطها
الطبيعي الصحيح .. هذه الحياة هي فرحه ..

ذلك هو القروح

انه اشد بساطة من كلمة (صباح الخير)

ففي بساطة حياتنا اليومية تكن العظمة والسمو

في بيتنا الذي سنبنيه ..

في بيتنا الذي سنجدد ببناءه

ذلك هو الفرح

يا يتيمتي .. سيكون لك ام غدا

فرايات الحرية نوق روابي وهران وفي ربوع
تسنطينة ، والايدى التي تبني مجد الجزائر وتعيد
ترميم كل ما انفسدته سنوات الاحتلال والنضال ...
هي القدرة على ان تهب كل التامى الامهات والاباء
وزغاريد الفرح .

هذه هي اشعار مالك حداد التي غنى فيها
للجزائر .. للجزائر المستعمرة والجزائر المناضلة
والجزائر المحررة .. وقد غنى كثير من شعرائنا
للجزائر ايضا .. غنوا لها في مصر وفي لبنان وفي العراق

وفي سوريا .. غباي شيء تختلف اغنيات مالك حداد عن غيره من الشعراء الذين غنوا للجزائر . وبأي شيء تميز اغنياته عن اشعار الشعراء الفرنسيين المعاصرين الذين يكتب بلغتهم مثل جاك بريغر ولوي أراجون وسان جون بيرس وأن بوسكيه وتريستيان ترارا وغيرهم ؟ لاغنيات مالك حداد طعم خاص . فلا لها طعم الشعر الفرنسي المعاصر .. ولا هي ايضا كمعظم قصائد شعرائنا العرب . ان لها طعم الشعر عندما يكون انسانيًا وثوريًا في آن واحد . او بمعنى اخر عندما يكون جزائريًا . فقصائد مالك حداد جزائرية حتى النخاع .. فيها بساطة الجزائر وشغافيتها .. وفيها نضالها وجبها وكل معاناتها . لذلك نجد للصورة في شعره تركيبها الخاص الذي يتحدد في مباشرتها الشعرية وفي ثرائها الذي ينبثق من قلب الجزئيات المتناقضة وفي مزاجتها بين الاشياء التي يبدو للوعلة الاولى انها غير قابلة للزواج فيحقق هذا امتدادا للمعنى وتعميقا له .. انه يتطلب من الشاعر ان يكون غاضبا وانسانيا معا ..

أريد ان ابسم للأغنية

التي تعلن رغم كل شيء ، عن غضبة مغنيها في هذه الكلمات القليلة يبلور مالك حداد الكثير من خصائص شعره .. الذي يرى خلاله ارضه من

بمسافة بعيدة .. بمسافة الفراق الجبري واللغة الهجينة ومن ثم اخذ يتغزل فيها كالغريب ويتشتم عطرها كالمرحل الضال للثرى الوطن ، ويسفح عند قدميها الاغنيات الرقيقة العذبة التي تحمل بين طياتها كل مرارة مغنيها وكل غضباته دون ان يفلو الغضب او المرارة فوق السطح منها .. لان غضبه غضب الشاعر والمحبة ، انت تكتب لانك تحب .. واذا لم يكن لديك ما تحبه .. فاطرح عليك ، هذا هو دستور شاعرنا ، الكلمة المرتوية بالصدق والحب والشرف والسلام ... الكلمة الشديدة الارتباط بالانسان الجزائري وبالأرض الجزائرية .. فكل ما في مالك حداد انساني لان كل ما فيه جزائري .. اشعاره وتراكيب صورته وطبيعته رؤيته للحياة .. لذلك استطاع بحق ان يكون مغني الأرض الجزائرية ..

القاهرة — صبري حافظ

(١) كل النماذج الشعرية التي استعنت بها في هذه الدراسة من ترجمة السيدة ملك أبيشي العيسى لدواين مالك حداد (الشقاء في خطر) ، الذي استفدت منه في هذه الدراسة كثيرا .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.net.com>

